المقتطف

الجزء التاسع من المجلد التاسع والعشرين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٤ — الموافق ٢٠ جمادى الثانية سنة ١٣٢٢

نساء اليابان

من الاقوال المأثورة عند الاوربيين قولهم باللغة الفرنسوية Cherchez la femme وترجمتهُ فتّش عن المرأة يريدون بهِ انها علة كل الشرور او انها علة كل الحوادث من غير تخصيص . ومعلوم انهُ لايحدث حادث مّما للناس يد فيهِ الاَّ ويكون سببهُ الرجال او النساء فلا عجب اذا كان لهنَّ يد في نصف الحوادث الاَّ ان اثرة الرجال تجعلهم يحسبون ان لهم اليد الطولى في كل الاعمال فاذا رأوا للنساء يداً فيها استغربوا الامر واكبروهُ واشاروا اليهِ

ومعلوم انهُ اذا حدثت الحوادث الغريبة جعل الناس يفتشون عن اسبابها واغرب حوادث هذا العام بل اغرب الحوادث التي مرَّت منذ اعوام كثيرة الى الآن ظهور دولة اليابان في مظهر دولة حربية من الطبقة الاولى برًّا وبحرًا وظهورها هذا ادهش اوربا كلها حتى انكلترا وهي اعلم بها من سائر الدول . والناس يبحثون الآن عن سبب هذا النجاح الفائق والفوز الباهر الذي فازت بهِ اليابان على دولة الروس . فنشرنا في الجزء الماضي من المقتطف مقالة مسهبة ظهر منها بأجلى بيان ان في طبع اليابانيين خلقين راسخين وهما حب الوطن والاستبسال في سبيلهِ وقد عثرنا الآن على سبب آخر يُعدُّ من دعائم الشجاعة والجرأة اللتين ابداها اليابانيون في هذه الحرب وفي تأهبهم لها . وهو ان نساء فريق كبير منهم وهو الفريق الحربي يتقلدن الاسلحة ويحاربن كالرجال وهذا شأنهنَّ من قديم الزمان فلا عجب اذا وُلد اولادهنَّ والشجاعة والبسالة من اخلاقهم لانهم يرثون الشجاعة من ابائهم ومن امهاتهم " والعرق دساس من الطرفين " والاَّ فلو كان آباؤهم اهل شجاعة ونجدة وامهاتهم قعيدات ضعيفات لاهمَّ لهنَّ الاَّ ولادة الاولاد وادارة البيت والتحلي والتجمل لضعفت اخلاق الآباء بما تمتزج بهِ من اخلاق الامهات وجاء اولادهم بين بين او لم يفق الابناء ما كان عليهِ الآباء . اما والنساء كالرجال في البسالة وإباءة

الضيم ورباطة الجاش فلابد من ان ترسخ هذه الاخلاق في النسل وتقوى فيهِ رويدًا رويدًا

والمرأة في اليابان كالمرأة في كل البلاد الشرقية مطيعة لزوجها وحميها وحماتها تعمل اعمال البيت كلها من غير تذمر تطبخ وتغسل وتبتاع الاطعمة وتخدم اباها وامها ثم تخدم زوجها واباهُ وامهُ من غير تذمر. ولا يعفى من هذه الاعمال الاَّ بنات الكبراء الاغنياء الذين عندهم كثير من الخدم والحشم

وابو الابنة هو الذي يختار لها الزوج حالما تبلغ سن الزواج وهي تعلم ذلك وتحسب انهُ امر محتوم فلا تنتظر سواهُ وحينما تتزوج تسكن هي وزوجها في بيت ابيهِ ولا يصير لها بيت خاص بها الاَّ بعد موت حميها وحماتها وتكون قد اكتهلت حينئذٍ وقام بناتها وكنائنها على خدمتها كما كانت هي قائمة على خدمة امها وحماتها. ومقام الزوج اعلى من مقام الزوجة ولكن ادارة البيت في يدها لا في يدهِ فتنهض قبلهُ في الصباح وتطفىء المصباح الذي يكون موقدًا الليل كلهُ وتغسل وجهها وترتب شعرها وتلبس ثيابها وتُلبس اولادها وتوقظ خدمها وتساعدهم في اعداد الفطور ثم توقظ زوجها وتلازمهُ الى ان يخرج من البيت فتخرج معهُ الى الباب وتسلمهُ عصاهُ او مظلتهُ او كتابهُ

والغالب ان تبدو عليها آثار الشيخوخة وهي كهلة لكنها ترحب بها ولا تحاول اخفاءها فتعقص شعرها وتلبس ثيابها على اسلوب يظهر بهِ عمرها حسب مصطلحات اليابانيين وتكون قد زوَّجت ابناءها وصارت حماة وقامت كنائنها على خدمتها فتمتعت بالراحة والاكرام

وليس في ذلك كلهِ ما تمتاز بهِ المرأة اليابانية على اكثر نساء المشرق ولو لم يتصل بنا من امر نساء اليابان غيرهُ لما وجدنا سبيلاً للتنويهِ بذكرهنَّ ولكننا نجد في تضاعيف ما ينشرهُ الثقات عن اليابانيات في هذا العصر ثلاثة امور حرية بالذكر لان لها شأنًا كبيرًا في ارتقاء اليابان

الامر الاول عدم تقيُّد اليابانيات بالعادات. خذ مثالاً لذلك مسألة اللباس فان لباس النساء في اليابان مثل لباسهنَّ في اكثر بلدان الشرق فلما اقتبس رجال اليابان الازياء الاوربية تبعهم نساؤُهم ولا سيما نساء الكبراء حتى اذا اجتمعن معهم في المنتديات والحفلات لا يكون فرق ظاهر بين الاوربيات واليابانيات. ولا ينظر الاوربيات شزرًا الى اخواتهنَّ اليابانيات كما ينظر الانسان عادة الى من يراهُ مرتديًا ثيابًا دون ثيابهِ ولا يشعر اليابانيات انهنَّ دون الاوربيات في مجاراة ازياء العصر. وقدوتهنَّ في ذلك امبراطورة اليابان كما ترى من صورتها في مقالة اخرى من هذا الجزء فانها تظهر فيها كملكات اوربا في حللهنَّ وهي تحضر الحفلات الرسمية وتقابل النساء والرجال كما يقابلنهم ملكات اوربا. وبلاد لا يرى رجالها ونساؤُها عارًا في التمثل بالمفلحين من البشر بل يرون في ذلك عين الصواب لحرية بان تتمثل بالمفلحين في كل

شيء. وازنْ بين ذلك وبين ما يفعلهُ اهالي كوريا فان المرأة لا تزال عندهم اسيرة متحجبة لا تخرج من بيتها مطلقاً بل تدفن فيهِ دفناً مدى العمر ورجالهم لم يغيروا ازياءهم حتى ملكهم لا يزال في زيهِ القديم كما ترى في مقالة اخرى من هذا الجزء. وتدل هيئتهُ على تمام السكينة والوقار كأنهُ زاهد من الزهاد بخلاف امبراطور اليابان فانهُ قلما يرى الاَّ باللباس العسكري كما ترى في صورتهِ في المقالة التالية وهي منقولة اصلاً عن صورة فوتوغرافية. ولا يخفى ان قواد اليابان وجنودها لابسون كلهم اللباس الاوربي كما ان بوارجهم ومدافعهم وبنادقهم وحركاتهم العسكرية وكل لوازم الحرب برًّا وبحرًا جارية على الاساليب الاوربية وعلى احدثها بل ان بنادقهم وبارودهم وبعض اساليبهم فاقوا بها ما عند الاوربيين والاميركيين

والامر الثاني استبسال اليابانيات فبينا ترى المصريات مثلاً يبكين ويولولنَ اذا أُخذ اولادهن او ازواجهنَّ للخدمة العسكرية ترى اليابانيات يحسبن الخدمة العسكرية اشرف عمل لاولادهنَّ وازواجهن ويتباهين بمن يقتل في الذود عن وطنهِ ويفضلن من مات قتلاً على من مات حتف انفهِ كأنهن يرددن قول السموأل الذي كان يفتخر بقولهِ

وما مات منا سيدٌ حتف انفهِ ولا طُلَّ يوماً حيث مات قتيلُ

تسيل على حد الظبات نفوسنا وليس على غير الظبات تسيلُ

قيل انهُ لما نشبت الحرب البحرية بين الصين واليابان كان في احدى السفن اليابانية ربَّان اسمهُ سكاموتو فقتل فيها مع من قُتل وأُرسل نعيهُ الى بيتهِ ولما وصل الناعي رأى ام القتيل واخبرها بما جرى فنظرت اليهِ والعظمة وعزَّة النفس ملء عطفيها وقالت لهُ "اذًا قد خدم ابني وطنهُ بدمهِ فاحسن عملاً"

وامرأة اخرى مضى زوجها الى تلك الحرب وهي شابة في العشرين من عمرها وجاءها نعيهُ بعد قليل فصرفت خدمها من بيتها وكتبت الى اصدقائها تودعهم ولبست حلَّة عرسها وركعت امام صورة زوجها وطعنت صدرها بخنجر لكي تلحق بهِ في اقرب وقت. والانتحار شائع في بلاد اليابان لاينظر اليهِ بالازدراء ولا يؤتى خوفاً من المكاره بل محوًا للعار او رغبة في اختصار السبيل الى الآخرة

والثالث اعتياد نساء الجنود حمل السلاح واستعمالهُ. والجنود فريق كبير من اليابانيين وكان نساؤُهم يقمن مقامهم اذا غابوا عن اوطانهم في حماية قصور اسيادهم زمن الحكم الاقطاعي ولا تزال الاخلاق العسكرية راسخة في كثيرات من نساء اليابان ولذلك شأن كبير في ما يرى من البسالة في اخلاق الامَّة اليابانية كما تقدم

امبراطور اليابان وامبراطورتها

بينما كنا نكتب السطور السابقة عن نساء اليابان وقع نظرنا اتفاقاً على فصول للمنسيور الكونت واي ده وايا المجري اثبتها في يوميتهِ ووصف فيها مقابلتهُ لامبراطور اليابان وامبراطورتها ولامبراطور كوريا فرأينا في هذا الوصف ما ينطبق على ما اشرنا اليهِ في تلك المقالة ولذلك اقتطفنا منهُ ما يلي . قال السيد المشار اليهِ :

" ارى الثلج من كوة غرفتي متساقطاً من السماء والرياح تعبث بهِ وقد غطَّى سطوح البيوت واغصان الاشجار . و الشوارع فارغة لا احد فيها كأن المدينة كلها نائمة نوم الشتاء ولا اكاد اصدّق اني في بلاد مطلع الشمس ولا اني في عاصمتها . ولقد ساءني ان أصبح هذا الصباح والبردُ شديد لانهُ اليوم المعدّ لمقابلتي جلالة الامبراطور وحبذا لو كان من ايام الربيع حين تكون اليابان في ابهى حللها وحلاها

وصلت الآن المركبة من دار السفارة لتنقلني الى القصر يجرها جوادان يابانيان كريمان ولقد تعبا في عبورهما الشوارع من كثرة الثلج المتراكم . فسرت فيها ومررنا في شارع واسع تختفي البيوت على جانبيهِ لصغرها واتساعهِ ولكن بعضها حديث فخيم مبني على الاسلوب الاميركي من الحديد الصلب والاجر المشوي هذه هي المباني العمومية البنوك وبيوت التجار ومررنا بجانب ترعة جمد ماؤُها من شدة البرد

وقفنا امام باب كبير فانفتح حالاً ورأينا امامهُ فصيلة من الجنود فأدَّت التحية العسكرية ثم مررنا على جسر من الحجر بديع الزخرفة وسرنا بين صفين من الاشجار الكبيرة وقد شاخت من طول عهدها واكتست جذوعها حللاً من الطحالب واشتبكت اغصانها كالقباب فوق الرؤُوس وهذا الممر جزءٌ من الشارع الطويل الواصل بين كيوتو وطوكيو بين بلاط الشوغن وبلاط الميكادو حيث كان امراءُ اليابان ينتقلون من البلاط الواحد الى الآخر بمواكبهم الفاخرة . وسرنا على هذا النسق الى ان بلغنا ساحة كبيرة امام القصر . وهو طبقة واحدة ليس في ظاهرهِ شيءٌ من الفخامة والزخرفة ووقفت المركبة امام درَج تصل الى غرفة رحبة فيها مائدة كبيرة عليها الدفاتر التي يكتب الزائرون فيها اسماءهم وهناك بعض الخدم لابسون اللباس الفرنسوي الرسمي . وسير بي في رواق طويل خشبهُ منقوش نقشاً بديعاً الى غرفة من غرف الاستقبال الكبيرة اثاثها مثل اثاث غرف الاستقبال في قصور اوربا واميركا لاتمتاز عنها الاَّ بخزانة يابانية قديمة لاتثمن . وحبذا لوكانت اثاث الغرفة كلها على النسق الياباني مثل هذه الخزانة . وقابلني هناك

البارون . . . وهو يحسن الانكليزية وقد درس في انكلترا وتزوج سيدة انكليزية فجعلت بيتهُ نادياً لنخبة الاوربيين المقيمين في هذه العاصمة وبيتهُ جميل مثل القصور الانكليزية يطل على اجمل بقعة من خليج طوكيو وفيهِ كثير من الكتب الانكليزية والتحف اليابانية وهو من البيوت القليلة التي يسرُّ الانسان بتذكرها ويود العودة اليها

والبارون على جانب عظيم من الرقَّة ودماثة الاخلاق وهو السر تشريفاتي لجلالة الامبراطور ونراهُ يقوم بما يطلب منهُ كأَنهُ يجد في ذلك مسرتهُ العظمى ورأَيت هناك غيرهُ من رجال البلاط وكلهم بالملابس الرسمية

ثم سير بي في اروقة كثيرة باردة الهواء الى ان وصلنا الى الغرفة التي فيها الامبراطور. والغرف التي كنا فيها قبلاً تدفأ كلها بالماء السخن واما هذه فلا تدفأ بهِ بل بالكوانين اليابانية وقد استقبلني جلالة الامبراطور في غرفتهِ الخاصة وهي صغيرة يابانية في شكلها وكان واقفاً في وسطها وعليهِ حلة جنرال السترة زرقاء كحلية والبنطلون احمر قاتم وقد تقلد الوسام المجري المرصع اكراماً لي وحولهُ رجال حاشيتهِ وكلهم بالملابس الرسمية . فصافحني وافتتح الحديث حالاً فسألني قائلاً "منذ كم يوم خرجت من بلادك وكيف جلالة امبراطوركم الكريم (امبراطور النمسا) وبأَي طريق اتيت وهل رأَيت السفر في خط سيبيريا سهلاً وكم اقتضى لك حتى قطعت منشوريا وكيف رأَيت كوريا . ان الآتي من اوربا يرى في هذه البلاد اموراً كثيرة يستغربها فعسى ان تكون سررت بما رأَيتهُ وعسى ان ترى كل ما يسرك في بلاد يابان وسيظهر لك اننا باذلون اقصى الجهد لاقتباس اساليبكم . ويسرني ما بلغني عنك من انك تهتم بأَمر التعليم العمومي واظن انك ستسرُّ بمدرستنا الجامعة ومكتبتنا ومطابعنا الجديدة . واشير عليك بان ترى بعض مدن الارياف ايضاً ومقدار الهمة التي يبذلها سكانها في توسيع نطاق التجارة . ولا تغفل مشاهدة اوساكا وسأذهب اليها في الشهر المقبل فعسى ان التقي بك هناك"

هذه المسائل سأَلني اياها فاجبتهُ عنها وظهر لي انهُ كان مسروراً جدًّا بالحديث وقبل ان خرجت من حضرتهِ ارسلت جلالة الامبراطورة تطلب مقابلتي فسرت الى الجانب الذي تقيم فيهِ من القصر فقابلتني في غرفة استقبالها واثاث هذه الغرفة من الطراز الفرنسوي وكواها تطلُّ على حديقة يابانية غناء وكانت لابسة حلة اوربيَّة وكان معها اثنتان من الوصائف وهما باللباس الاوربي ايضاً . وحالما وقع نظري عليها رأَيت في وجهها امارات البشاشة والدعة وهي نحيفة الجسم صفراء اللون تدلُّ الدلائل على انها كثيرة التفكر وكان مدار الحديث على اعمال البر كالمستشفيات وملاجيء الايتام والمنقطعين وقد جعلت جمعية الصليب الاحمر في اليابان تحت

رعايتها واصغت الى ما اخبرتها بهِ عن اعمال اخوات الرحمة وسألتني مئات من المسائل عن ملاجيء الفقراء وكانت تطلب مني التفصيل بالاسهاب واعربت لي مراراً عن سرورها بما كنت اذكرهُ لها عن اعمال البر التي يفعلها خدمة الدين المسيحي في بلادها وخرجت من لدنها وانا واثق انها خير قدوة لنساء اليابان

امبراطور كوريا

قال المنسنيور الكونت واي ده وايا حملني ثمانية رجال في محفَّة الى قصر الامبراطور الجديد في هذه المدينة البيضاء وهي احرى بهذا الوصف من كل مدينة لان بيوتها بيضاء

ولباس سكانها ابيض ولم ارَ حولي شيئاً لهُ لون الاَّ المحفة التي كنت فيها فانها كانت مغطاة بسجف من الحرير الاخضر وثياب الحمالين فانها من اللون القرمزي

وفي سيول اربعة قصور القصر الشرقي والقصر الشمالي والقصر الغربي والقصر الذي ذهبت اليهِ الآن · واني اعرف هذه القصور وقد قضيت اوقاتاً طويلة في حدائقها اتمتع بمشاهدها البديعة وارى آثار الصناعة الكورية القديمة التي قضي عليها واخشى ان لا تقوم لها قائمة بعد الآن بل تزول كما زال عمران كوريا القديم ولم يبقَ منهُ الاَّ بعض الآثار الفخيمة الدالة عليهِ

ووُضعت المحفة امام رواق كبير قائم على اعمدة من الحديد ومسقوف بالزجاج كأَنهُ محطة من محطات سكك الحديد الكبيرة (ثم وصف القصر وانتقد بناءهُ وذوق الذين فرشوهُ لانهم اتبعوا فيهِ النسق الاوربي فجمعوا فيهِ اسخف ما في الاساليب الاوربية ولم يتموهُ حتى الآن بل ابقوهُ ناقصاً ليبقي ما كلة لكل افّاق يطلب تتميمهُ الى ان قال)

واخيراً استيقظ الامبراطور من قيلولتهِ وارسل فدعاني اليهِ والخدم الذين دعوني لابسون ثياباً كورية الزي من المضام (اليزر) كانهم اموات مكفنون والمضام يكاد يكون لباس الكوريين الوحيد وهم يبطنونهُ شتاء بالفراء او بالقطن المندوف وفي كوريا عشرة ملايين نفس يبتاعون المنسوجات القطنية وستشتدُّ المناظرة بين منشستر واليابان في هذا المضمار ولا يعلم لمن يكون الفوز اخيراً · وسرت الى ان بلغت غرفة الامبراطور وهي ساذجة مبطنة بالورق الملون وفيها مائدة وستار وكان الامبراطور واقفاً بينهما ولما وقع نظري عليهِ لم اصدق اني واقف في حضرة رجل يؤلّههُ اهل بلادهِ ويعبدونهُ عبادةً ويحسبون شخصهُ مقدساً وكلمتهُ شريعةً ولهُ البلاد كلها وما تحويهِ واذا لمستهُ يد انسان فقد اثم اثماً فظيعاً واستوجب القتل بل لايجوز لاحد لمسهُ بعد موتهِ فيرفع بآلة ويوضع في تابوتهِ واذا لمس هو انساناً صار ذلك الانسان مقدَّساً . ولا يتلفظ احد باسم الامبراطور الاَّ همساً ولا يجوز لاحد ان يصورهُ

وقد رأَيت في وجههِ مهابة ودعةً ولايظهر عليهِ انهُ قوي الارادة وكان لابساً ثوباً كوريًّا اصفر اللون ومنطقاً بمنطقة من الجاد (حجر صيني ثمين جدًّا يزعم ان التمنطق بهِ ينفع من امراض الكلى والخواصر)

وسأَلني مسائل كثيرة مثل قولهِ متى قمت من بلادك وكيف وجدت الطريق وفي كم يوم وصلت الى هنا وكيف وجدت البلاد التي مررت فيها · وظهر لي انهُ شديد الرغبة في معرفة احوال بلادي وسأَلني قائلاً هل بلادكم كثيرة الجبال وهل سكانها اهل فلاحة وهل عاصمتها جميلة · سمعت ان بلاط امبراطوركم فاخر جدًّا وان موكبهُ من اعظم المواكب ويقول سفرائي الذين عادوا من اوربا ان بلادكم عظيمة جزيلة الغنى وقد اتوني بكثير من التحف والهدايا والصور ويسوؤني ان شيخوختي تمنعني من السفر والاَّ لكنت اسافر بنفسي لارى بعيني ما سمعتهُ اذني

وكانت مسائلهُ ترد عليَّ تباعاً حتى لم اكد استطيع ان اجيب عليها كلها . وتقضي الرسوم في كوريا كما في كل البلدان الاوربية ان لا يتكلم احد امام الملك الاَّ جواباً عن سؤال يسالهُ اياهُ الملك . ثم قال لابد من انك سررت جدًّا حينما رجعت الى سيول ووجدت ان اجمل بناء فيها هو كنيستكم ببرجها الرفيع وقد قيل لي انها جميلة جدًّا فمن هو المهندس الذي هندسها لكم وكم انفقتم على بنائها . ثم سألني عن ملجإ الايتام الذي بجانب الكنيسة وسرَّ لما اخبرتهُ ان فيهِ مئتي يتيم واراد ان يعرف ما هو رأيي في الكوريين واولادهم وسر جدًّا لما اخبرتهُ ان الاولاد اذكياء العقول جدًّا اقوياء الذاكرة

وكان ولي العهد جالساً الى جانب الامبراطور وهو رجل في الثلاثين من العمر لا يبدو عليهِ شيءٌ من مخايل النجابة وهو متزوج ولكن لا اولاد لهُ . ولهُ اخ اصغر منهُ يدرس الآن في اميركا ويقال انهُ نجيب جدًّا وهو يدرس الآن علم الادارة ويرجى ان ينفع بلادهُ بعلمهِ . ووراء الامبراطور وابنهِ خصي اسود كبير الجثة وهو رئيس الخصيان ولهُ شان كبير جدًّا وكلمتهُ مسموعة في بلاط الامبراطور

واهالي سيول حزبان حزب مع اليابان يكره روسيا وحزب مع روسيا يكره اليابان ولكن ليس فيها حزب لكوريا نفسها

هذا ما كتبهُ هذا الحبر النبيل قبيل نشوب الحرب بين روسيا واليابان وقبل ان كثر تحدث الناس في اخلاق اليابانيين والكوريين كتبهُ في يوميتهِ الخصوصية غير قاصد ان يطلع احدًا عليهِ فلما دارت رحى الحرب طُلبَ منهُ نشرهُ فنشرهُ . ويظهر مما اقتطفناهُ منهُ ومما لم نقتطفهُ انهُ معجب باليابانين عارف بمقدرتهم حاسب العمران الذي جروا عليهِ ليس سطحيًا قليل الغور سريع الزوال بل موَّسس على اسس وطيدة . وانهُ كان في بلاد كوريا عمران عالي الذرى لكن تقوَّضت اركانهُ وزال منها وبعيدٌ ان يعود اليها مادامت مطمحاً لغيرها من الدول . وقد قابل جلالة قيصر روسيا وكتب عن مقابلتهِ لهُ وسننشر بعض ما كتبهُ اتماماً للفائدة

بنك رويستون

كانت الغلبة للقوة البدنية وكان الناس يفاخرون بقتل خصومهم وسلب اموالهم فصارت للقوة المالية وصاروا يستحلون كل طرق الغش والخداع لكسب المال. وفي الفترة بين الحالين سنت الشرائع والقوانين فحرَّمت القتل والسلب والغش والخداع ولكن سلطتها لاتتعدى الظواهر فما كشف امرهُ وقامت الادلة على ثبوتهِ طبقت القوانين عليهِ وما بقي مستورًا ولم تثبتهُ الشواهد والقرائن بقي صاحبهُ بريئًا ولو كان من شر الموبقات حتى ان القاضي لايحكم على القاتل والسارق ولو رآهما يقتلان و يسرقان مرأى العين ما لم يقم غيرهُ الادلة على ادانتهما . وانكى من ذلك ان يكرم اللص ويدخل بيتك فترحب بهِ كأَنهُ من جلَّة القوم ويدان خادمهُ ويُسجن اذا سرق حفنةً من الشعير من عليق فرسهِ . وتنهال الرتب والنياشين على الذين يزيفون النقود والاموال ويؤَاخذ من يشتمهم بكلمة ويقضى عليهِ بالعقاب . حالة يراها الناس بعيونهم ويغضُّون الطرف عنها كأَنها من مأْلوف العادات

وقفنا على قصَّة موضوعة تبين هذه الاحوال على اسلوب جلي في شكل رواية فكاهيَّة لكاتب اسمهُ جوليان هوثورن فرأَينا ان نترجمها ببعض الايجاز قال

كان رجل اسمهُ جمس النهام وهو كهل في الستين من عمرهِ شديد العصب سريع الخاطر ينظر في الامور بعين البصيرة فيدرك غوامضها و يقابلها بعين المزدري فلا تظهر على وجههِ امارات الاهتمام بها

تلقى العلوم في احدى المدارس الجامعة وقرأ كثيرًا من الكتب العلمية والادبية ووقف على آراء رجال العصر ولم يتابع غيرهُ بل بقي مستقلاً في رأيهِ وهو مع ذلك لين العريكة حسن المعاشرة يتقن ملابسهُ ولا يظهر عليهِ التأنق فيها . ورث مالاً طائلاً عن ابيهِ واشتغل بالصرافة وانشأ بنكاً منذ خمس وعشرين سنة فزادت ثروتهُ . وتوفيت زوجتهُ وهو شاب فتزوج باخرى وعمرهُ اربعون سنة وولدت زوجتهُ الثانية لهُ ابنة صار عمرها الآن ثماني عشرة سنة وزوجتهُ من اهل التقى والصلاح وهي دونهُ ذكاء

وكان اهل مدينتهِ يجلُّون قدرهُ ويحسبونهُ الاول بينهم وعرضوا عليهِ بعض المناصب فرفضها وكان بنكهُ الاول بين بنوك المدينة وجلَّة اهاليها يودعون اموالهم فيهِ

وابنتهُ واسمها اولمبيا على جمال فائق وبساطة شديدة وتحبهُ محبة تقرب من العبادة وتعرَّف بها طبيب شاب اسمهُ بنتنك فخطبها الى ابيها قُبيل الحوادث الآتي ذكرها وكان ذلك في شهر

يونيو واتفقا على ان يكون اقترانهما في اكتوبر

وكان النهام ذات يوم في غرفتهِ الخاصَّة بعد انصراف العمال لان الصراف واسمهُ كلفري طلب ان يكلمهُ على انفراد · وكلفري هذا كهل في الاربعين من عمرهِ دخل البنك في حداثتهِ كاتباً وبعد خمس عشرة سنة صار صرَّافاً وهو ذكي امين جدًّا يجري في امورهِ واعمالهِ على غاية الانتظام والتدقيق لكنهُ كثير التأني يسير سير السلحفاة بينما النهام يثب وثب الايل وكان النهام يقدره ُ قدره ُ ولا يبخسهُ حقهُ ويمزح معهُ احيانًا و يتهكم عليهِ لكن كلفري لا يتعدى منزلتهُ ولا يكلمهُ الاَّ بالوقار والاحترام

وكان النهام يعلم ان كلفري يحب ابنتهُ اولمبيا ولكنهُ ينظر اليها نظر العابد الى المعبود غير طامع بالاقتران بها وكانت هي تنظر اليهِ بعين الدعة واللطف ولم يخطر ببالها قط ان حبها كان متملكاً فؤاده ُ فلما بلغهُ ان بنتك خطبها لم يقل شيئًا بل زادت سكينتهُ وزاد انعكافهُ على عملهِ

وقد رأى حديثًا ان الاموال قلَّت في البنك رويدًا رويدًا ولم يبقَ فيهِ الاَّ مبلغ زهيد لا يفي بجزء مما يُطلب منهُ فاذا طلب الوادعون اموالهم اضطرَّ ان يشهر افلاسهُ حالاً فاخبر المدير بذلك وطلب اوامره ُ في هذا الشأن وهذا هو الغرض الذي طلب ان يقابلهُ فيهِ

فالتفت المدير اليهِ باسمًا وقال لهُ اظنك قلقًا من جراء ذلك فان خفت من الغرق معنا فما عليك الاَّ ان تسبح الى الشاطئ وتنجو بنفسك ولا يصعب عليك ان تجد لك عملاً في بنك آخر

فقال كلفري نغرق كلنا او ننجو كلنا بل افضل ان اغرق وحدي او افعل اي امر آخر اذا امكنني ان انفعك او انفع مَن لك

فنظر المدير اليهِ وقال لهُ باسمًا هَبْ انك تشرع من الآن تزوّر الدفاتر قبل ان يطَّلع عليها مأمورو الحكومة . فقال كلفري وهو يحسب ان المدير يتهكَّم عليهِ اني لا انتظر ان تثق بي اكثر مما استحق وعلى كل حال فالبنك بنكك وانت المسؤول عنهُ ولم اقصد في ما ابنتهُ لك الاَّ اطلاعك على حقيقة الحال لكي ترشدني الى امر افعلهُ مخافة ان نؤخذ على غرَّة

فقال المدير احسنت ولعلك خفت ايضاً على اولمبيا لعلَّ خطيبها يتركها وتضطر الى التسوُّل

فاحمرَّ وجه كلفري وتنهَّد ولم يقل شيئًا

فقال المدير الاَّ تزوّر الدفاتر اكرامًا لاولمبيا فان الضرورات تبيح المحذورات ولكنني اظن ذمتك تمنعك من ذلك

فانغض كلفري رأسهُ وبقي صامتًا

فقال المدير يظهر لي انك لا تحب المزاح فهل لك شيء آخر تقوله لي

فقال كلڤري كلاَّ ولكن اتضح لي انك لا توجس شرًّا فاطمأن بالي

فقال المدير لقد قلتَ لي انهُ لم يبقَ في خزائن البنك سوى مئة وخمسة وستين الفًا من الريالات وبيتي يساوي ضعفي ذلك واثاثهُ يساوي مئة الف والاملاك والديون التي لنا تساوي مليون ريال وعلينا من الديون مليونان على الاقل فعلينا اكثر ممَّا لنا . واذا اظهر ذلك مراجع الحسابات تداولتهُ السنة الجرائد وصرنا مضغة في افواه الناس يقولون فلان خرج صفر اليدين بعد ما اشتغل خمسًا وعشرين سنة واضاع امواله واموال الناس . لي سؤال القيهِ عليك يا كلڤري واطلب منك الجواب عنهُ قل لي اي سن يصل اليهِ المرء حتى يصير بمأمن من ان يرتكب التزوير ويُعدَّ مع الجناة

وكان كلڤري قد سار نحو الباب لانهُ رأى المدير غير مهتم بالامر ولا اجابةُ الاَّ بالمزاح والتهكم فلما سمعهُ يقول هذا القول بلهجة الجد وقف حائرًا في امرهِ ولم يعد يخرج

فقال لهُ المدير تعال قلْ لي هل كبرتُ عن السرقة والاختلاس بعد ان عشت هذا العمر كلهُ سالكًا سبل الامانة

فنظر اليهِ كلڤري مدهوشًا وقال لهُ بصوت منقطّع " السرقة والاختلاس " صار لي معك عشرون سنة وانا ارى فيك مثال الصدق والامانة فلا استطيع ان اتصور انك تُقدِم على شيء مثل هذا لا تؤاخذني انك تمزح معي وتتهكَّم عليَّ

فرفع المدير رأسهُ وانحنى في كرسيهِ الى الوراء وضحك وقال احسنتَ اذهب الآن الى بيتك ونمْ مطمئن البال فان احوال البنك على ما يرام ولا خوف علينا . اذهب بسلام

فودعهُ كلڤري وهو يطلب المعذرة منهُ ويقول في نفسهِ ما اوسع حيلة هذا الرجل وما اقدرهُ على ادارة الاعمال

***

بقي المدير في مكانهِ هنيهة يفكر في امرهِ ثم تنفَّس الصعداء وقام ومضى الى بيتهِ وهو طلق المحيَّا كأنهُ لا يهتمُّ بشيء

وجلست عائلتهُ للعشاء هو وزوجتهُ وابنتهُ وخطيبها . وكان هذا الخطيب بهي الطلعة بشوش الوجه نحيف الجسم شديد العضل وكان بارعًا في صناعتهِ متضلعًا من العلوم المتعلقة بها تظنهُ من اول وهلة بعيدًا عن الناس لا يميل الى معاشرتهم لكنك اذا خبرتهُ ووثق بك رأيتهُ على جانب كبير من الدعة والانس ثم ترى تحت ما في وجههِ من البشاشة وفي اعطافهِ من

اللاين اعصاباً كالفولاذ وعضلات كالحديد تريك انهُ جبار عند الشدَّة مصداقاً لقول من قال

ان الرجال صناديق مقفَّلةٌ وما مفاتيحها الاَّ التجاريبُ

وجرى الحديث في شؤُونهِ وهم على المائدة فقالت مسز النهام قرأت الآن عن حادثة أُخرى من هذه الحوادث المشومة — صراف سرق مالاً طائلاً من البنك وهرب بهِ ويقال انهُ كان معدوداً من اهل التديُّن الذين يكثرون التردُّد على الكنيسة . لا بدَّ من ان ينتقم الله منا لاجل هذه الشرور لان خوفهُ زال من قلوب الناس . فالتفت زوجها الى الدكتور بنتنك خطيب ابنتهِ وقال لهُ ما قولك في ذلك هل زاد الصلاح في الدنيا او زاد الشرُّ فيها

فقال بنتنك اني ارى الرياء شر المآثم فهذا الرجل كان مرائياً وقد تعب من حسبان الناس لهُ ديّناً وهو لص ففضَّل ان يجاهر بامرهِ . والمجتمع الانساني تعتريهِ الآفات مثل جسم الانسان والآفة الظاهرة اقل ضرراً من الباطنة لان الاولى شفاؤُها مأمول واما الثانية فلا يرجى لها شفاء

فضحك النهام وقال هذا ضرْب من ضروب الحكمة مفادهُ ان من كان شرَّ الناس حسب الظاهر فهو افضل الناس . أحسنت أحسنت

فالتفتت اولمبيا الى خطيبها وقالت لهُ لا تصدق ما يقولهُ ابي لانهُ ليس اكرهُ للخداع منهُ . فلم يجبها بل قال ان الغنى امر جديد في الدنيا لم يدرك الناس كنههُ حتى الآن فيظنونهُ كلَّ مطلب ويضحون كل شيء في سبيلهِ وقد قسم الناس الى فريقين الى شرذمة من الجبابرة وهم الاغنياء بين جيوش كبيرة من الاقزام وهم المتوسطون والفقراء ولكل جديد بهجة فمتى الف الناس الغنى لا يعود احد يهتم بان يكون جباراً فتزول التجارب التي تجرّب الناس الآن لاكتساب الغنى والشرور التي يرتكبونها في سبيلهِ . والانسان ابن الاختبار فمتى اختبر الغنى وعلم متاعبهُ عافتهُ نفسهُ كما تعاف المآكل اذا شبعتْ منها

فقال النهام ان الانسان مطبوع على الشر وهو ظالم بالطبع ويطلب دائماً ان يكون فوق غيرهِ وما دام الناس يحسبون التفوُّق لاهل الغنى فلا بدَّ من سالب ومسلوب وظالم ومظلوم لان الناس لا يستطيعون ان يغتنوا كلهم ولا يغتني رجل الاَّ اذا افتقر رجال . وما دمنا نكرم الغني ونجل قدرهُ وكل امرءٍ يود ان يكرَم ويجل فكل امرءٍ يحاول ان يغتني مهما كلفهُ ذلك وسواء كانت الطرق الموصلة الى الغنى محللة او محرَّمة . اما من حيث الرياء فاكثر الذين يراؤُون يراؤُون لاجل نسائهم واولادهم فان الرجل يرى زوجتهُ واولادهُ يعتقدون فيهِ الفضل والكمال فلا يتجاسر على نزع هذا الاعتقاد منهم

فقالت لهُ اولمبيا ألا يجب اذاً عقاب المجرمين

فقال نعم اذا امكن اثبات الجريمة عليهم وحينئذٍ يكون عقابهم لا لجريمتهم بل لانهم لم يكونوا ماهرين في اخفائهم فاذا اخفوها حتى لا تظهر او لا تثبت عليهم لم يعاقبوا . فالضعيف او الجاهل الذي لا يستطيع ان يخفي ذنوبهُ هو الذي يعاقب عليها ونحن كالذئاب كلما سقط منا واحد اكلناهُ

فنظرت زوجتهُ اليهِ نظر الغيظ وقالت لهُ لا يحسن بك ان تمزح هكذا امام ابنتك وصهرك فانهما لا يزالان صغيرين قليلي الاختبار فتشوش افكارهما

وقامت اولمبيا وقبّلت وجههُ وطوقت عنقهُ بذراعها وقالت ان ابي لا يشوش افكاري وهو احسن الناس كلهم

فالتفت النهام الى صهرهِ وقال لهُ انظر كيف يضطر الانسان الى الرياء

ودخل الخادم حينئذٍ وقال اتى رجل يقول انهُ حضر بطلب منك وقد عينتَ لهُ هذه الساعة لتقابلهُ فيها فهل ادخلهُ الى غرفة الاستقبال

وكانوا قد اكلوا وشبعوا وجلسوا يتنقّلون فوقف النهام ومسح شفتيهِ بمنديلهِ وقال للخادم ادخلهُ الى مكتبتي وقل لهُ اني سأحضر حالاً

فقالت اولمبيا على الذين لهم شغل معك ان يقابلوك في البنك لا في البيت اما في البيت فانت لنا لا للشغل ولذلك سندخل المكتبة ونمنعكم عن الكلام

فقال ابوها ان امر هذا الرجل خصوصي ولا يحسن ان يُرى في البنك وهو من كبار الماليين فاذا خفنا من الافلاس فهو الرجل الذي يساعدنا ولكن اذا علم انني اجتمعت بهِ وتآمرنا على امر هجم الناس علينا غداً يطلبون اموالهم المودعة عندنا فلا اعود قادراً على تجهيزك

فقالت ان قلبي يوجس شرًّا من هذا الرجل فاطردهُ من هنا او دعني ادخل المكتبة واسمع مايقول

قالت ذلك وهي ممسكة بيدهِ فنظر اليها وكأنهُ تردّد في امرهِ ثم نزع يدهُ من يدها وقال قضي الامر ولابدّ لي من ان اوقع اسمي في دفترهِ اذهبي العبي مع خطيبك وسأعود اليكم سريعاً

قال ذلك وسار مسرعاً فقطع الدار ثم التفت الى ورائهِ فرأى بنتك خطيب ابنتهِ سائراً مع زوجتهِ وابنتهُ سائرةً الى جانب خطيبها وهي تقبل يدها وتشير اليهِ بها كأنها تقبلهُ عن بعد وقالت لخطيبها لا بدّ من ان يكون هذا الرجل آتياً يستعطي من ابي لان كثيرين يقصدونهُ لهذه الغاية وهو يتصدّق اكثر من كل احد ولا مثيل لهُ غيرك ياحبيبي

وكان الرجل الذي اتى زائرًا واقفاً في غرفة المكتبة يرى ولا يُرى لانها كانت مظلمة لا نور فيها فرأى ذلك الشاب بين خطيبتهِ وامها فسرَّهُ ذلك المنظر وانطبعت صورتهُ في ذهنهِ ووصل اليهِ النهام حينئذٍ ودخل واغلق الباب وفتح النور الكهربائي فاضاءت المكتبة بنور ساطع

***

ان الذين يفلحون في هذه الحياة يظنون ان الفلاح جاءهم بغتةً والذين يفشلون يظنون ان الفشل جاءهم عفوًا والحال ان للنجاح والفشل درجات يتدرجان فيها لكن الانسان لا يتذكر الدرجة الاخيرة منها. والحالة التي وصل النهام اليها الآن لم تفاجئهُ مفاجأَة بل قد تدرَّج اليها تدرُّجًا لكن طرق الشر لا تكون جليَّة في مبادئها فلا يوجس الانسان منها شرًّا ولا يرى اعوجاجها وابتعادها عن طرق الاستقامة الاَّ متى اوغل فيها وتعذَّر عليهِ الرجوع عنها . والآن لم يكد النور الكهربائي ينير تلك الغرفة حتى أُطفئ النور الداخلي من قلب النهام فاظلم ظلمة دامسة

وقف النهام والرجل الذي جاء لزيارتهِ . وقفا متواجهين وكلٌّ منهما ينظر الى الآخر ويتفرَّس في وجههِ . وكانت غرفة المكتبة ادلَّ على اخلاق صاحبها من كل ما في بيتهِ لانهُ رتبها على ذوقهِ. كانت فسيحة مملوءة بخزائن الكتب على جدرانها الاربعة والخزائن بديعة الصنعة وفوقها صور كثيرة مختلفة الاشكال منها ما يمثل الجمال ومنها ما يمثل الحب ومنها ما يمثل العظمة وفي جانب من الغرفة مائدة عليها كثير من الجرائد والمجلات وفي جانب آخر موقد على رفهِ آنية مختلفة من الزجاج البندقي وبين الكتب تماثيل غريبة منها تمثال ياباني يمثل رجلاً ينحر ببقر بطنهِ على ما كانت الجنود اليابانية تفعلهُ اذا خافت العار . والكتب حسنة التجليد والتذهيب ولكن بعضها لمؤلفين مشهورين بالمجون . وفي الغرفة زاوية فيها مائدة وادوات كيماوية كثيرة وسموم مختلفة وهلمَّ جرًّا مما يدل لاول وهلة على ان عقل ذلك الرجل كان ميَّالاً الى الاطلاع على كل ما في الدنيا من صالح وطالح وطيب وخبيث ولكن اذا امعن النظر فيهِ بان منهُ ان الرجل يتقصَّد الشر تقصُّدًا ويتوخاهُ حتى في الطيبات ومن كان كذلك أَلف الشرَّ اخيرًا ولو تكلَّفهُ في اول الامر تكلفاً فصار ديدنًا لهُ . لم يكن الشر من طبعهِ لكنهُ طوَّح نفسهُ فيهِ تطويحاً فصار عبدًا لهُ ثم صار سيدًا عليهِ

والرجل الزائر ربعة مجدول العضل اسود الشعر اجعدهُ واضح تقاطيع الوجه يداهُ صغيرتان لكنهما قويتان يحمل عصاً من الابنوس مقبضها من الذهب تنظر الى وجههِ كما تنظر الى لغز لا تستطيع ان تفهم منهُ شيئًا كأَنهُ يخفي اغراضهُ قصدًا لا يفتح عينيهِ على ملئها لكنهُ يعي بهما كل ما يراهُ ولو لمحهُ لمحة واحدة

تفرَّس فيهِ النهام هنيهة ثم قال لهُ أأنت المستر دكستر غون الممتاز على اقرانهِ فقال نعم اني اسمي نفسي بهذا الاسم ولي بعض المزايا على اقراني كما لك بعض المزايا على اقرانك . وكان كلامهُ صريحاً خالياً من كل غنَّة . فوقف النهام هنيهة أُخرى يتفرَّس في وجههِ كانهُ يريد ان يطبع صورتهُ في ذهنهِ ثم قال لهُ انني اقفلت الباب فلا يسمع احد ما تقولهُ فتفضل واجلس واجتماعنا امرٌ محتوم لابدَّ منهُ ولقد فضَّلتُ ان يكون بدعوة مني لك . ماذا تريد ان نشرب اخمرًا ام شرابًا آخر

فقال لا اشرب شيئًا الاَّ بعد ان ننتهي من شغلنا ولكنني ادخن سيكارًا اذا اردت

ففتح النهام درجًا واخرج منهُ صندوق السيكار وفتحهُ امام ضيفهِ واخذ منهُ سيكارًا اشعلهُ ومص منهُ مصتين ثم وضعهُ في المنفضة وجلس على جانب المكتب لا على كرسي وبدت عليهِ دلائل الاضطراب لان افكارًا مختلفة تنازعتهُ في تلك الساعة وضيقت انفاسهُ نخفق فؤادهُ واضطربت رئتاهُ وشعر كأَن الضغط الادبي زال عنهُ فجاشت نفسهُ كما يجيش الماءُ في اناءٍ زال ضغط الهواءِ عنهُ ولو لم تكن حرارتهُ شديدة ثم جعل يمشي في الغرفة ذهابًا وايابًا وهو يجبر نفسهُ على جعل خطواتهِ متساوية لكي يشتغل ذهنهُ بشيءٍ عما كان قائمًا في نفسهِ من الاضطراب ثم صار يلتفت الى ما حولهُ في الغرفة لكي يتلهى بهِ فرأى كأَنَّ كل ما فيها انقلب عن وضعهِ وحانت منهُ التفاتة الى مرآة في الحائط فرأى صورتهُ فيها واستغرب لما رأى نفسهُ بثياب فاخرة ولحية منتظمة كأَنهُ كان ينتظر ان يرى نفسهُ في ثياب الجناة وشكلهم الزري وحاول النطق فعصاهُ لسانهُ وارتجفت شفتاهُ وشعر انهُ سائر في سبيل كثير المزالق لا تؤمن عاقبة السير فيهِ فقال لا بدَّ من ان تبقى الدفة في يدي سواءٌ سرت او لم اسر. ثم عاد الى نفسهِ فرأَى انهُ لا يزال واقفًا امام دكسترغون ودكستر يدخن السيكار ولا يبدي حراكًا وشعر كان تلك اللحظة سنة مرَّت بهِ فجمع قواهُ كلها وقمع عواطف نفسهِ التي كادت ثورتها تتغلَّب عليهِ وقال

لا بدَّ من انك سُجنت وذقت الاشغال الشاقة ولقد كان ذلك شأْني ولم اخرج من سجني واذق طعم الحرية الاَّ الآن واذا نجحت حيلتنا كانت الاخيرة من نوعها

فقال لهُ غون اراك قلقًا دعنا نتكلم في شغلنا فيهدأ روعك

فجلس النهام في كرسي كأَنهُ غصبًا عنهُ وسكَّن جاشهُ وقال لقد راجعت فكري وصمَّمتُ نيتي قبلما دعوتك ولم يبقَ وجه للاعتذار والتأويل . اظن انك فهمت مرادي من دعوتي لك

فاشار غون بحاجبيهِ ولكنهُ لم يتكلَّم

فقال النهام لا بأْس باطلاعك على كل شيءٍ ولا خوف من انك تكشف سري لاحد لانهُ

ليس معنا ثالث واذا شكوتني وانكرتُ فما من احد يصدق دكسترغون رئيس اللصوص ويكذّب جمس النهام مدير بنك رويستون المعروف بالنزاهة والاستقامة في كل هذه البلاد

فقال غون افصح المقال واخبرني بمرادك

فقال النهام اريد منك ان تسرق البنك. قال ذلك وكاد صوتهُ يبح حينما نطق بهذه الكلمة

فقال غون مهلاً يا صاحِ ولا تتعجَّل في الكلام فان للصوص آداباً كما لمديري البنوك وانا اعرف من امر البنوك كما تعرف انت ولو على اسلوب آخر و يظهر لي انك ضاربت فخسرت ورهنتَ بيتك وامتعك ولكن بقي البنك مديوناً باكثر ما فيهِ وتخاف ان ينفضح امرك فلماذا تلجأ اليَّ ولا تفرُّ وتنجو بنفسك

فقال النهام لان لي زوجة وابنة وسأصير حميًّا عن قريب والهرب لا ينجيني من العار فصمت غون هنيهة ثم قال اتعني تلك الفتاة التي رأيتها والشاب الذي كان معها

فقال النهام مالنا ولهما الآن

فقال غون ولكن ان كان شأن ابنتك يهمك فليس الامر مبهلاً كما تظن لانها اذا اوجست شرًّا ونظرت اليك نظرة واحدة فقد تثنيك عن عزمك. فصمت النهام قليلاً كمن ينظر في معنى خصمهِ ثم لاحت على وجههِ امارات الهزء فقال انت حرٌّ ان تفعل اولا تفعل فتخسر ربحاً طائلاً أَو تظنني سهل الانقياد الى هذا الحد

فقال كلاَّ ولكنني اعرف الناس الذين مثلك اذا انحرفوا مالوا كل الميل فهل هذه اول خطوة خطوتها في هذا السبيل

فاغتاظ النهام من هذا الكلام وانقبضت عضلات يديهِ لكنهُ عاد فملك طبعهُ وقال نعم هذه اول خطوة

ففكَّر غون قليلاً ثم قال اني لا استحسن هذا العمل ولكن قل لي كم لي منهُ

فأُفرج عن النهام وقال ان في خزنة البنك مئة وخمسة وستين الف ريال من الاوراق المالية وهي اجرتك اذا وصلت اليها ولكن لابدَّ لك من كسر الخزنة وانا ادَّعي انك نهبت منها ملايين ثم أستدعي مجلس المديرين ونسوّي المسألة فما رأيك في ذلك

فقال هل يعلم احد بذلك غيري وغيرك — هل يعلم بهِ صرَّافك كلڤري

فقال النهام كلاَّ ولو امكنني ان اخبر احدًا ما كنت دعوتك الى هنا ولم تشتدَّ الازمة عليَّ الآ قريباً وقد بلغتني مهارتك وما فعلتهُ ببنك نيويورك منذ سنة او سنتين وها نحن كما ترى

فقال غون اني اعرف رجلاً من مديري البنوك وقع في ما وقعت فيهِ انت فجعل صرّاف البنك يهرب بقليل من المال وادَّعى عليهِ انهُ سرق اموال البنك كلها وفرَّ بها ولكن ان لم يكن كلفري من هذا القبيل فلا بدَّ من طريقة اخرى

فقال النهام ولا يحل لي ان اوقع رجلاً بريئًا في هذه الورطة اما انت فامرك معلوم

فنظر اليهِ غون نظر الازدراء وقال لهُ اعلم اننا اذا قابلنا مديري البنوك باللصوص الذين يسرقون البنوك لم نجد المديرين افضل من اللصوص بل نجدهم ادنى منهم واجبن فاننا نحن نسرق البنوك تحت انوف الحراس ونسقط او نقوم ولا نتظاهر بالخير ونحن نبطن الشر . واما انتم فتتنعمون في قصوركم وتهزأُون بالدنيا وتختلسون اموال الناس اغنياء وفقراء على حدٍ سوى واذا درى بكم الحراس او القضاة تعرفون كيف ترشونهم وتنجون . وعندي شيء آخر اقولهُ لك فاجلس واستمع لانهُ قلما يتفق لي ان اكلم رجلاً مثلك . هوذا ابنتك فتاة جميلة المنظر طلقة المحيا ولا شبهة عندي في انها طاهرة السيرة والسريرة وستقترن عما قليل بشاب مهذب وهما يظنان انك عين الكمال وانا يقول الناس اني رجل شرير ولا اخالفهم في ذلك واذا قبضتَ عليَّ وانا متلبس بالجناية ولم اجد لي سبيلاً الى النجاة الاَّ بقتلك قتلتكَ ولم ابالِ . وقد رأيتك منذ ساعة آتيًا اليَّ وابنتك وراءك تقبّل يدها وتشير اليك بها وحينما تنتهي من شغلك معي تعود اليها وتقبل وجنتيها وانت لص ومختلس مثلي ولا تستحق ان تحسن الظن بك اكثر مما تحسن الظن بي . لقد عشتَ عيشة الرخاء كل عمرك ودرست في احسن المدارس وتربيت على الصلاح وانا مجرم عشتُ مع المجرمين ولم اتعلم الاَّ ما يسهل عليَّ الكلام والتعبير عن افكاري ولكن اذا نظرت اليَّ فتاة مثل ابنتك كما تنظر ابنتك اليك قلقتُ لاني ارى من نفسي اني لا استحق ذلك ولا اجسر عليهِ . واني لأُخبرك بما لا تعلمهُ وما قد لا تصدقهُ وهو اننا نحن معاشر اللصوص نضع لانفسنا حدًّا لا نتخطاهُ فلا نتظاهر بالفضيلة ولا نخدع غيرنا حتى يعتقد فينا غير ما نحن اما انتم وجهاء القوم فلا حدَّ عندكم لشيء تتظاهرون بالصلاح والوجاهة وانتم فاسدو السيرة والسريرة وهذا الذي اعتقدهُ فيك يا مستر النهام ولا سيما بعد ان قلتَ لي انهُ لا يحل لك ان توقع رجلاً بريئًا في هذه الورطة ولكن يحل لك ان تستأجر لصًّا مشهورًا باللصوصية مثلي . فلقد صدق ظني فيك انك تقيم من نفسك الخبيثة صنمًا تعبدهُ ابنتك ويعبدهُ خطيبها وتتظاهر امام الذين نهبت اموالهم انك الرجل الذي نهبتْ اموالهُ وهذا هو الذي يجعلني ازدري توبيخك لي وسافعل ما طلبتهُ مني لانهُ قلما يقع لي مثل هذا المبلغ من المال بهذا المقدار من السهولة . ولكن اذا ساءت احوالك بعد ذلك

وانتظمتَ في سلك اللصوص فاعلم ان اللصوص الذين مثلي يترفعون عن مشاركتك وها قد افرغت لك ما في نفسي

***

لما كان غون يتكلم بهذا الكلام كانت القوة الغضبية في النهام تجيش وتثور وهو يحاول اخمادها لانهُ رأى نفسهُ في قبضة هذا اللص وسمعهُ ينتقد اخلاقهُ انتقاداً كشف لهُ القناع عن حقيقة امرهِ وحاول الضحك استهزاءً بكلام خصمهِ فابت نفسهُ عليهِ ذلك وحثتهُ على الانتقام منهُ ولكنهُ عجز عن الامرين فقد كان في كل ما مضى عليهِ من السنين وليّ امرهِ ووليّ امر غيرهِ لا يُناقَض ولا يعاند في شيءٍ فلما ترك منزلتهُ التي كان فيها رأى نفسهُ امام هذا اللص كالمرؤُوس امام الرئيس وزاد في خستهِ اهتمامهُ بحفظ مقامهِ بين الناس فاضاع منزلتهُ التي كان يحتمي بها كما بترس منيع ورأى سيف اخلاقهِ مثلَّماً في يدهِ لا يقطع شيئاً فوقف امام اللص اعزل لا درع يقيهِ ولا سلاح يدافع بهِ ولم يعد يجسر ان يقطع الحديث وينقلب لان زمامهُ صار في يد خصمهِ. فقال في نفسهِ لقد استطيع ان انتقم منهُ في فرصة اخرى فارتاح الى هذا الخاطر وكظم غيظهُ واقرَّ بفشلهِ وقال لغون اراك قويَّ الحجة جداً وانا واقع في ورطة كما ترى ولا بدَّ لي من ان اضحي كل شيءٍ للنجاة منها الاَّ مقامي بين الناس ولا اهتم بهذا المقام الاَّ حباً بزوجتي وبنتي ولا شبهة ان منزلتك في هذه المسأَلة احسن من منزلتي ومهما يكن من الامر فانا لاجيءٌ اليك طالب مساعدتك ولك من الجزاء ما يرضيك

فاشار غون برأسهِ علامة القبول وقال لهُ اشرح لي بعض التفاصيل

فقال اني اعطيك مفاتيح البنك وأُبعد عنهُ الحارس وعليك ان تدبر امر الغفير وهوارلندي من رجال البوليس ولا بدَّ لك من كسر الخزنة . واصلح الاوقات لذلك غداً ليلاً

فوقف غون وقال ان المبلغ الذي فيها مئة وخمسة وستون الف ريال الم نقل كذلك

فقال النهام وقد يُسحَب منهُ شيءٌ قليل او يضاف اليهِ شيءٌ قليل غداً في بحر النهار

فنظر غون نظر المستفحص المستريب وادرك النهام مرادهُ فاغتاظ منهُ ولكنهُ لم يظهر الغيظ بل اخفاهُ بالتبسم

فقال غون اني اعتمد على قولك ثم دار ليذهب

فقال لهُ النهام ألا تشرب الآن كاساً من الشراب ثم فتح خزانة واخرج زجاجة منها وصبَّ كاسين فتناول كلٌّ منهما كاساً وشربها وقال غون هذا الشراب طيب واذا تم كلُّ شيءٍ على ما احب تركتُ اللصوصية لانني مللتها وذهبتُ الى البلدان الجنوبية واقمت فيها آمناً

ولكن لا تدع ابنتك تعلم شيئاً مما جرى بيننا

فقال النهام الله يوفق . وخرج غون من الغرفة فسمع اولمبيا تنادي ابيها وتقول لهُ قل لضيفك ان يتفضل و يشرب فنجان شاي معنا

فالتفت الى غون وقال لهُ ادخل اشرب فنجان شاي لماذا لا تدخل . فنظر اليهِ غون شزرًا وقال لهُ اتدّعي انك تهتم بامرها ثم تركهُ وسار وخرج من البيت وكأنهُ رماهُ بسهم صائب بتلك النظرة

ولما وصل الى الشارع الذي امام الباب مرَّ بهِ رجل منحني الرأس غائر العينين وهو كلفري صراف البنك كان من عادتهِ ان يمشي امام بيت المدير حيث تقيم الفتاة التي علق حبها قلبهُ . ولم يلتفت غون الى كلفري ولكن كلفري رآهُ جيدًا فرسخت صورتهُ في ذهنهِ (ستأتي البقية)

بورت آرثر والحرب الحاضرة

من يرم بنظرهِ دقيقة واحدة على خارتة اوربا يرَ ان روسيا على اتساع مساحتها لا ميناء بحريًا لها الاَّ على البلطيك حيث يبقى الجليد نحوًا من عدة اشهر يمنع من حركة البواخر والسفن ولما كان وجود المواني البحرية في الدول من اهم عوامل تقدُّمها واسباب عظمتها حاولت روسيا مرارًا ان تصل الى البحر المتوسط فما افلحت ووجدت من الصعوبات والمقاومات ما ايأسها وكاد يذهب بامانيها . فمن ثم وجهت نظرها الى الشرق الاقصى فكان احسن ميناء وجدتهُ هناك ميناء فلاديفوستك . الاَّ انهُ في اقصى المعمور من جهة المشرق على تنحيهِ عن طرق التجارة العامة وفوق ذلك فان الجليد يلازمهُ اكثر ايام السنة . ومع ذلك رضيت بهِ مدة وفقًا للقول المأثور اذا لم يكن ما تريد فارِدْ ما يكون وعللت نفسها ان كوريا قريبة من هذا المرسى فلا بُدَّ من ان يسعدها الحظ فتنتهز فرصة للمداخلة في امور هذه البلاد فتستولي عليها او على الاقل تكون تحت حمايتها وتتوصل من ثم الى ميناء فيها يغنيها عن فلاديفوستك ويفتح بابًا لتجارتها في الشرق الاقصى

الاَّ ان الدولة الروسية كانت تعلم الصعوبات التي تحول دونها ودون متمنَّاها هذا . واقلُّ هذه الصعوبات معارضة الصين وربما اليابان لانها لم تكن اذ ذاك تحسب حسابًا لليابانيين لحداثة عهدهم بالظهور بين الدول التي يُؤْبَهُ لها . وكان معظم خوفها من معارضة الصين راجعًا الى ما بينها وبين كوريا من ترامي المسافات وصعوبة المسالك التي تحول دون ايصال قواتها

البرية الى تلك الاصقاع النائية . ومعلوم انها ان لم تُعِدَّ العدَّة للتغلب على هذه الصعوبة فلا يبعد ان يحلَّ بها الفشل ولا سيما اذا اتفقت الصين واليابان معًا على مناوأتها

وواضح أنَّ اهمَّ ما كانت روسيا لتُعدُّهُ انما هو تقريب المسافات وتذليل وعورة المسالك وبعبارة اخرى مدّ السكك الحديدية تسهيلاً وتعجيلاً لنقل قواتها الحربية التي يتوقّف عليها فوزها في العراك الذي كانت تقدِّر وقوعهُ قبل ان تضمّ كوريا الى املاكها او تستولي على ميناء من موانيها يفي بحاجتها التجارية وما الى ذلك من اغراضها السياسية

وعليهِ فكان في حوالي سنة ١٨٨٤ ان المرحوم القيصر اسكندر الثالث اصدر امرهُ بمدّ سكة حديد سيبيريا لتصل بين املاكها في اوربا وبين ميناء فلاديفوستك وان يتصل هذا الخط العظيم بخط موسكو مارًّا في شمالي الاملاك الصينية ومن جملتها منشوريا . ولما كان هذا الخط من اطول الخطوط الحديدية في الدنيا ويقتضي من النفقات ما تنوءُ تحتهُ اعظم الشركات المالية التجارية فضلاً عن ان فائدتهُ التجارية لذلك الحين ولحد هذه الساعة كانت بحيث لا يخطر ببال شركة من الشركات ان تباشر مدَّهُ على نفقتها — باشرت الدولة الروسية مدَّهُ على حسابها

وكثرت التقوُّلات حينئذٍ في شأن هذا الخط وارجف بهِ الكثيرون وبالغاية التي من ورائهِ وهوَّلوا بكثرة نفقاتهِ حتى صرَّح بعضهم ان الدولة الروسية تعجز عن مدّهِ وأن لابدَّ لها من الوقوف دون اتمامهِ كل ذلك ليثنوا عزمها عن مدّهِ او اقلهُ ليثبطوها سنينًا عديدة عن نجازهِ لكنَّ الروس ما زالوا على عزمهم فيهِ وما فتئت دولتهم تجعل لهُ في ميزانيتها سنة بعد سنةٍ مخصَّصًا كما كانت تجعل لجيوشها البرية او لاساطيلها البحرية الى ان توفي المغفور لهُ اسكندر الثالث سنة ١٨٩٤ وكان قد نجز معظم هذا الخط الاَّ اجزاءً منهُ بين فلاديفوستك وبحيرة بيكال وتجلّى لعيون الكثيرين أنَّ ما كان في عداد الاوهام او خيالات الاحلام اصبح من حقائق اليقظة

وفي سنة ١٨٩٤ تولّى اريكة العرش الروسي جلالة القيصر الحالي نقولا الثاني وكان الخط كما قلنا بلغ حدود منشوريا شمالي خربين فما انحرف فيهِ عن خطة والدهِ شعرةً واحدة الاَّ ما كان من تغيير خط مسيرهِ فانهم كانوا بادي بدءٍ ينوون بهِ ان يسير في الاملاك الروسية مجاريًا نهر عامور فبدا لهم ان يعدلوا عن هذا التخطيط ليمروا بهِ في منشوريا الصينية راسًا الى فلاديفوستك مارًّا بخربين . وبعد مخابرة دولة الصين وبذل الوسع في اقناعها تم لعمال القيصر ما ارادوهُ ومرَّ الخط على خربين في شمالي منشوريا على ما تراهُ مرسومًا في الخرائط الحالية

ماذا كان يجري في اليابان

لنترك الآن عمال الروس يخابرون دولة الصين في ان تسمح لهم بمد هذا الخط في املاكها تارةً يهولون عليها وتارةً يحاسنونها ويتزلفون الى اصحاب الحل والعقد فيها على عادة الروس وغيرهم من الدول الاوربية في الشرق ولنرجع الى ما كان يجري في اليابان

كانت هذه الامة قد انتبهت من غفلتها الشرقية ورأَت ما هي عليهِ هي والصين من الضعف بازاء الدول الاوربية الكبرى . ورأَت ان ضعفها لم يكن من حيث تأخر اهلها في الصناعة والزراعة — فان الصين واليابان من هذه الحيثية كانتا ولا تزالان في مقدمة العالم اجمع — انما كان ضعفها من حيث تأخرها في الجندية البرية والبحرية . وهنا نقول ان تفوُّق الممالك الغربية على الممالك الشرقية واستتباعها لها والسيطرة على رؤَسائها سببهُ قوة جنديتها وانتظامها وبلوغها في ذلك اعظم المبالغ بما أُدخل اليها من قوة العلم الطبيعي والرياضي والميكانيكي . ولو ان اوربا اقتصرت في تمدنها على ترقية زراعتها وصناعتها فقط وضربت من حولها سورًا يمنع ما يجاورها من الامم من شنّ الغارة عليها كما فعلت الصين منذ مئاتٍ من السنين لكانت رجال التعايشي مثلا اجتازت اليها البحر المتوسط ولم تبقِ في ديارها دارًا الاَّ دوَّختها واعملت فيها السيف والنار حتى تركتها قاعًا صفصفًا

فلما استفاقت اليابان من غفلتها بما نبهتها المدرعات الاميركانية اولاً ثم الانكليزية ثانيًا وكانت قد رأَت ما حلَّ بجارتها الصين على ضخامة ملكها وكثرة عدد سكانها وقوة رجالها فلم يغنِ ذلك عنها شيئًا بازاء الدوارع الانكليزية رأَت ان تتلافى ما نقصها من هذا التمدن الحربي بتقليد اهلهِ فيهِ والجري على خطتهم في جميع مقوّماتهِ فاستدعت اليها الضباط الحربيين من فرنسا والمانيا اولاً ثم اخذت في ارسال الوفد بعد الاخر من ابنائها الى انكلترا واميركا وفرنسا والمانيا حيث درسوا العلم الحربي وما هو من متعلقاتهِ على اهلهِ وتعلموا لغتهم وقرأُوا كتبهم وجرائدهم فعرفوا اغراضهم وما تنزع اليهِ نفوسهم من الاثرة والسلطة وعادوا الى بلادهم بما تعلموهُ فعلموهُ واذاعوهُ في بلادهم شرقًا وغربًا وقرنوا العلم بالعمل

وأوّل ما توجهت اليهِ همَّتهم انهم باشروا في تنظيم جيوشهم البرية والبحرية على الطريقة الاوربية وما زالوا يدأَبون على ذلك نهارًا وليلاً حتى تمَّ لهم هذا التنظيم على ما يريدون واوربا في غفلةٍ عنهم اولاً لبعدهم عنها وثانيًا بمجاملتهم دولها وتغافلهم عن مطامعها وفتح بلادهم لتجارتها من غير ان يفتحوا لها بابًا للمداخلة في شؤُونهم الخاصَّة فلم يشعر اهل اوربا الاَّ وعند اليابان جند منظَّم كاحسن ما يكون من الجند عندهم

فلما تمَّ لليابانيين كل ذلك احسوا بالقوَّة وسمت نفوسهم الى ما تسمو اليهِ امَّة مستقلة يبلغ عدد سكانها خمساً واربعين مليوناً لسانها واحد ودينها واحد وعوائدها وتقاليدها واحدة ولا اقول شيئاً عمَّا وُفّقوا اليهِ في بلادهم من الانقلاب السياسي العظيم وقيام الميكادو الحالي ومن حولهِ نخبة من رجال الامة اجتمعت كلمتهم على رأي واحد وانصرفت وجهتهم الى تعزيز شأن بلادهم فاخلصوا لمليكهم واخلص مليكهم لهم وعزز كل منهما شأن صاحبهِ اولئك نظموا وسنُّوا وذاك بما لهُ من نافذ السلطة امر ان يوضع ما نظَّموهُ وسنُّوهُ لخير البلاد موضع الاجراء والعمل بموجبهِ من غير تردُّدٍ او حفيظةٍ . وكل ذلك تمَّ لليابان قبل ان أتمَّ الروس مدَّ خطهم الحديدي الى فلاديفوستك ولا شك انهم علموا ما كان يعلمهُ غيرهم من غاية روسيا بمدِّ هذا الخط فانهُ كان اظهر من الشمس انهم كانوا يريدون بهِ فتحاً في كوريا ومنشوريا ليتوصلوا الى ميناء بحري في تلك الاصقاع لا يتسلط عليهِ الجليد فيعزز نفوذهم في الشرق الاقصى ويربط تجارتهم بتجارتهِ

وكانت اليابان اصبحت تطمع فيما تطمع بهِ الدول الاوربية من السطو على الصين فوجهت مطامعها الى كوريا وهي اقرب اقسام هذه المملكة اليها ليس بينها وبين بعض جزرها ما يزيد على التسعين كيلو متراً وكوريا هذه بلاد خصيبة التربة غنية بالمعادن الثمينة والفحم الحجري وفيها من النفوس نحو من سبع ملايين او يزيد

وكان اول ما حاولتهُ اليابان ان تسلخ هذه البلاد عن الصين ليتهيأ لها ضمها اليها في المستقبل او على الاقل السيطرة عليها دون الصين والانتفاع بخيراتها . وللتوصل الى غايتها هذه ارسلت في سنة ١٨٧٦ معتمدين من قبلها الى عاصمة كوريا واظهرت الغفلة عما للصين من السيادة عليها بان عقدت معها معاهدة من اول بنودها ان كوريا بلاد مستقلة متمتعة بجميع الحقوق التي تتمتع بها اليابان فكانت هذه المعاهدة اول خطوة خطتها اليابان لتفتح لها باباً للمداخلة في احوال كوريا

امَّا الصين فلغفلتها وجمودها لم تعترض صراحةً على ما فعلتهُ اليابان واكتفت بان ارسلت من قبلها وكيلاً سياسيًّا الى سيول عاصمة كوريا وجرَّت على نفسها بغفلتها ويلاً طويلاً لان اليابان لم تلبث بعد هذه المعاهدة ان اقامت لها سفارة في كوريا واخذت في دس الدسائس منها بين الكوريين حتى صارت سفارتها هذه خليَّةً لاهل الفتنة والثوَّار من الناقمين على الاسرة المالكة في كوريا . واشتدَّ الحال سنة ١٨٨٢ بالكوريين حتى ثار ثائرهم على اليابانيين فهجموا على سفارتهم واضطروا من فيها الى الهرب بحياتهم الى حيث جاءوا فتذرَّعت اليابان

بهذا الحادث وارسلت من قبلها جنوداً الى كوريا تحمي سفارتها ورعاياها من تعدّي الكوريين عليهم كما زعمت وما زالت على خطتها هذه تحذو حذو الاوربيين في نصب الفتن توصلاً الى ما تقصد الى ان كانت سنة ١٨٨٢

وفي هذه السنة تفاقم الخلاف بينها وبين الصين على كوريا الاّ انهُ انتهى بعقد المعاهدة الآتية

(اولاً) ان تعترف اليابان بتقدم الصين عليها في كوريا

(ثانياً) ان تسحب جنودها من كوريا

(ثالثاً) اذا حصل لليابان ما يدعو الى ارسال عساكرها الى كوريا فعليها قبل ارسالها ان تعالن الصين بذلك

(رابعاً) اذا حصل في كوريا ما يدعو الصين الى ارسال جنودها اليها فعليها ايضاً ان تعالن اليابان قبل ارسالها

والظاهر ان الصين رضيت بهذه المعاهدة غفلةً منها واعتماداً على ما تعلم من ميل الكوريين اليها ونفورهم من اليابانيين من جهة واستخفافاً بقوة اليابانيين وسياستهم من جهة اخرى . واما اليابان فكانت على بينة مما تسعى اليهِ عالمة الى اين ينتهي بها المسير . وهكذا انقضى الخلاف بين الدولتين الى حين

فلما كانت سنة ١٨٩٤ وكان الخط الروسي الحديدي وصل الى بيكال ومدَّت بعض اقسام منهُ بين بيكال وفلاديفوستك وتوجَّهت خواطر عمال الروس الى ان يمروا بهذا الخط في شمالي منشوريا من ارض الصين الى مينائهم شرقي كوريا قامت اليابان تحول دون الروس ودون ما ينوون وزعمت انها تميت عليهم ثمرات هذا الخط في المستقبل وتوهمت انها كفوءة لذلك وجرَّأها على ذلك ما رأت من التحاسد والتغاير في المصالح بين الروس وبين بريطانيا العظمى فاوجدت بعض المشاغب في كوريا حتى اضطرت هذه الى طلب مساعدة الصين فارسلت اليها الصين جنودها واعانت اليابان بذلك وفقاً للمعاهدة التي اشرنا اليها آنفاً . وبعد ان وصلت جنود الصين الى كوريا اخذت اليابان تختلق المعاذير والاسباب حتى شهرت الحرب على الصين واظهرت انها لا تنوي ضمّ شيء من هذه المملكة الى بلادها انما تريد مجرَّد اصلاح الحال في كوريا

الاّ ان اليابان لم تحسن تقليد الدول الكبيرة فيما فعلت ونظرت الى القريب دون البعيد فلم تفطن لمعنى المثل القائل " قدّر لجنبك قبل النوم مضطجعا " لانهُ فاتها بحسب الظاهر انَّ في عملها هذا مناواةً لروسيا وأن روسيا مثلها ان لم تكن اشدَّ منها دهاء . ومن تلك الساعة

ماذا كان يجري في اليابان

لنترك الآن عمال الروس يخابرون دولة الصين في ان تسمح لهم بمد هذا الخط في املاكها تارةً يهولون عليها وتارةً يحاسنونها ويتزلفون الى اصحاب الحل والعقد فيها على عادة الروس وغيرهم من الدول الاوربية في الشرق ولنرجع الى ما كان يجري في اليابان

كانت هذه الامة قد انتبهت من غفلتها الشرقية ورأت ما هي عليهِ هي والصين من الضعف بازاء الدول الاوربية الكبرى . ورأت ان ضعفها لم يكن من حيث تأخر اهلها في الصناعة والزراعة — فان الصين واليابان من هذه الحيثية كانتا ولا تزالان في مقدمة العالم اجمع — انما كان ضعفها من حيث تأخرها في الجندية البرية والبحرية . وهنا نقول ان تفوُّق الممالك الغربية على الممالك الشرقية واستتباعها لها والسيطرة على رؤسائها سببهُ قوة جنديتها وانتظامها وبلوغها في ذلك اعظم المبالغ بما أُدخل اليها من قوة العلم الطبيعي والرياضي والميكانيكي . ولو ان اوربا اقتصرت في تمدنها على ترقية زراعتها وصناعتها فقط وضربت من حولها سورًا يمنع ما يجاورها من الامم من شنِّ الغارة عليها كما فعلت الصين منذ مئاتٍ من السنين لكانت رجال التعايشي مثلًا اجتازت اليها البحر المتوسط ولم تبقِ في ديارها دارًا الاَّ دوَّختها واعملت فيها السيف والنار حتى تركتها قاعًا صفصفًا

فلما استفاقت اليابان من غفلتها بما نبهتها المدرعات الاميركانية اولاً ثم الانكليزية ثانيًا وكانت قد رأت ما حلَّ بجارتها الصين على ضخامة ملكها وكثرة عدد سكانها وقوة رجالها فلم يغنِ ذلك عنها شيئًا بازاء الدوارع الانكليزية رأت ان تتلافى ما نقصها من هذا التمدن الحربي بتقليد اهلهِ فيهِ والجري على خطتهم في جميع مقوّماتهِ فاستدعت اليها الضباط الحربيين من فرنسا والمانيا اولاً ثم اخذت في ارسال الوفد بعد الاخر من ابنائها الى انكلترا واميركا وفرنسا والمانيا حيث درسوا العلم الحربي وما هو من متعلقاتهِ على اهلهِ وتعلموا لغتهم وقرأُوا كتبهم وجرائدهم فعرفوا اغراضهم وما تنزع اليهِ نفوسهم من الاثرة والسلطة وعادوا الى بلادهم بما تعلموهُ فعلموهُ واذاعوهُ في بلادهم شرقًا وغربًا وقرنوا العلم بالعمل

وأوّل ما توجهت اليهِ همّتهم انهم باشروا في تنظيم جيوشهم البرية والبحرية على الطريقة الاوربية وما زالوا يدأبون على ذلك نهارًا وليلاً حتى تمَّ لهم هذا التنظيم على ما يريدون واوربا في غفلةٍ عنهم اولاً لبعدهم عنها وثانيًا بمجاملتهم دولها وتغافلهم عن مطامعها وفتح بلادهم لتجارتها من غير ان يفتحوا لها بابًا للمداخلة في شؤُونهم الخاصَّة فلم يشعر اهل اوربا الاَّ وعند اليابان جند منظَّم كاحسن ما يكون من الجند عندهم

وحينئذٍ تبين لها ان الروس كانوا امكر منها وادهى . ولو كانت اليابان اتقنت دهاء السياسة كالاوربيين لأعدَّت لمثل هذا الاعتراض عُدَّتهُ من المال والرجال وضخامة الاساطيل فكان ذلك جوابها كما يفعل الاوربيون في مثل هذه الحال او لكانت اقلهُ اعتمدت على دهاء السياسة فلم تخض غمار هذه الحرب الاَّ بعد ان اتَّفقت مع انكلترا واميركا على ان تقفا معها في وجه الروس من جهة ودبرت من قبلُ على منع اجتماع الروس والالمان والفرنساويين عليها من جهة اخرى ولكنها لم تفعل شيئاً من كل هذا واكتفت ان خدعت نفسها بان خداعها ينطلي على غيرها وان الروس لايجدون اعتراضاً في نهاية الحرب على ما قدَّمتهُ من الاسباب لمحاربة الصين واحتلال كوريا ومنشوريا فاضطرَّت ان تضع خرج خداعها على كتفها وترجع من حيث جاءت

فان قيل وماذا كان يجب ان تفعل اليابان قلت لوكانت من دهاء السياسة على ما هي عليهِ الدول الكبرى لكانت دفعت انكلترا واميركا الى هذه الحرب بدلاً من ان تندفع هي اليها فان انكلترا اهمها امر هذه السكة اضعاف ما اهمَّ اليابان وذلك ظاهر من المقالات التي كانت تحبّرها جرائد هذه الامة العظيمة لتثبط هذا المشروع ولما هو معلوم من تنازع هاتين الدولتين النفوذ في الشرق وما رسخت عليهِ تقاليدهما من ان كل دولة منهما تسعى في وضع حدٍّ لنفوذ الاخرى وتتربص بها الفرص . ولو صبرت اليابان كما تصبر روسيا او انكلترا او فرنسا مثلاً لكان المرجح ان تأخذ انكلترا وحدها او بالاتفاق مع غيرها على نفسها ما اخذتهُ هي من معارضة الروس في مشروعهم هذا وهي اقدر منها على ذلك من كل الوجوه واعرف وتجارتها الواسعة في الصين وخوفها من تغلُّب النفوذ الروسي هناك على نفوذها وخسارتها الكبيرة من جراء ذلك اضعاف ما تخسرهُ اليابان كل ذلك كان داعياً لانكلترا (لو صبرت اليابان) الى ان تأخذ على نفسها تحمُّل الحمل الذي اخذت اليابان نفسها بحملهِ وهي تعجز عن النهوض بهِ

ولو ان اليابان نظرت نظر متأمل الى ما كان بين هاتين الامتين اعني الروس والبريطان من المنازعات الشديدة على كل شبرٍ من الارض في اوربا واسيا والى ما تولد بينهما بسبب ذلك من الاحقاد الشديدة لعلمت عن يقين ان روسيا لا تقصد الاَّ مناوأة انكلترا والحط من نفوذها والتضييق على تجارتها الواسعة في مملكة الصين انتقاماً منها على ما كان من معارضتها اياها واخذها بالخناق في كل موضع طمحت اليهِ ببصرها ولا سيما في اوربا . واذا كانت بريطانيا العظمى هي المقصودة فكان الاولى باليابان ان تتركها تقلع شوكها بيدها وبريطانيا اخبر منها

بمعارضة الروس وتعرف كيف واين ومتى تعارضها وكان لا بد لها من ان تبذل آخر ما في وسعها لمنع ما تتوقع حدوثهُ من غوائل هذا الخط على نفوذها . ولكن حديث النعمة بالغنى او بالقوة كثيرًا ما يبطر ويسيء استعمال غناه وقوتهُ فيضيع ما حصلهُ ويشمت بهِ جيرانهُ بعد اذ تدور عليهِ الدوائر . وبالاجمال فاليابان تعرَّضت لما كان اولى بها ان تترك لمن هو اقوى منها التعرُّض لهُ والذود عنهُ

الحوادث التي تلت انتصار اليابانيين وحلولهم في منشوريا

فيما كانت روسيا تخابر الصين لتسمح لها أن تمرَّ بخطها الحديدي في شماليّ بلادها الى فلاديفوستك لا تطمع باكثر من ذلك اذا باليابان اشهرت الحرب على الصين فابرقت للروس بوارق امل فاستبشروا ووقفوا يرقبون سير الحوادث لا يلعنون ولا يباركون واليابان تظنُّ انهم مخدوعون ولاسيما بعد أن ظفرت المرة والمرتين ولم ترَ من تلك الدولة اعتراضاً . واخيرًا تمَّ لها النصر ووقفت على ابواب بكين وقفة الظافر حتى اضطرَّت الصين الى طلب الصلح وعيَّنت المفوَّضين لهُ من قبلها واخذوا بوضع شروطهِ وروسيا كل هذه المدة لا تبدي ولا تعيد . فلما لم يبقَ الاَّ التوقيع على عهدة الصلح نفضت عنها غبار سكونها ووقفت كأنما بغتةً في وجه اليابان هي والمانيا وفرنسا فهدموا كل ما كانت اليابان قد بنتهُ

وبيانهُ ان الصينيين كانوا وما زالوا ينظرون الى اليابانيين بعين الاستصغار يرونهم دونهم في العلم والصناعة والقوَّة ودهاء السياسة ويطلقون عليهم اسم الاقزام ازدراءً وتحقيرًا . والحق انَّ اليابانيين كانوا الى ما قبل نهضتهم الاخيرة ينظرون الى الصينيين نظرتنا نحن الى اوربا واميركا يرونهم ارقى تمدنًا واضخم ملكًا وادهى سياسةً ويقلدونهم كما نقلّد نحن الاوربيين ويرسلون شبانهم لاخذ العلم عنهم فلما نهضوا نهضتهم الاخيرة وطرحوا عنهم جانباً تقليد الصين وامتدَّت اعناقهم الى مزاحمة هؤلاء النفوذ في كوريا والتطول عليهم في العلم والسياسة ابغضهم الصينيون بغضاً شديدًا . فلما غلَب اليابانيون واكرهوا حكومة بكين على عقد صلح شائن من جملة موادهِ ان يتخلوا لليابان عن منشوريا اكرم ولايةٍ على البلاط الصيني لانها منشأ الاسرة المالكة صعب الامر جدًّا على الصينيين حتى فضَّل سياسيهم الشهير لذلك العهد "لي هنغ شنغ" ان يستسلم للدول الثلاث الاوربية روسيا وفرنسا والمانيا يقتطعهم من بلادهِ ما كنَّ يطمعن باخذهِ ولا يحلمن ان تسنح لهنَّ الفرصة القريبة فيهِ من ان يرى اليابان في كوريا ومنشوريا في مقام السائد والمسيطر عليهِ وعلى مليكهِ . وعليهِ لم يتردَّد في اجابتهنَّ الى ما طلبنَ ووقَّع سرًّا على ما اقترحنهُ عليهِ من المطاليب على ثقلها بشرط ان تسرع هذه الدول الى ازاحة اليابان عن

منشوريا وكوريا فاسرعنَ الى اجابتهِ وارسلنَ الى اليابان بلاغهنَّ أنِ اتركي منشوريا وكوريا كما المعنا الى ذلك فلم يكن لها بدٌّ من الاجابة ولم يسع انكلترا واميركا ان تأخذ بناصرها على هذه الدول الثلاث وذهبت حينئذٍ احلامها في احتلال كوريا ومنشوريا ضياعاً ومساعيها في الحيلولة بين روسيا وبين حلولها في منشوريا ادراج الرياح . بل تبيَّن لليابانيين انهم كانوا اكبر مساعد في حربهم هذه على تمكين الروس من احتلال البلاد التي كانوا يحلمون باحتلالها ولا يصدقون امكان ذلك في الزمن القريب

وهنا نسال ولماذا لم تشرك هذه الدول معها انكلترا في الاتفاق مع الصين على اليابان . قلنا ان هذه الدولة العظيمة القديرة ما كانت لتؤخذ بدهاء غيرها بل هي ادهى من ان تُدْهى ولقد عرضنَ عليها ان تشترك معهنَّ فوجدنها واقفةً لهنَّ بالمرصاد تأخذهنَّ بظاهر مدعاهنَّ كما اخذن هنَّ اليابان بظاهر مدعاها وتعلِنُهنَّ حرباً وثبوراً اذا هنَّ اردن تجزئة الصين . فلم يسعهنَّ الاَّ اخفاء ما اخفينهُ من معاهدة "لي هنغ شنغ" الى انْ يتمَّ لهنَّ استرضاؤها

وبماذا يتم استرضاء بريطانيا العظمى ايبذلنَ لها جانباً من الصين ووادي ينغتسي العظيم الداخل ضمن دائرة نفوذها ام يبذلن لها شنغاي وهنكوك وهذه الشطوط البحرية في يدها منذ زمن طويل . ليس في الصين الواسعة الارجاء ما يسترضي بريطانيا العظمى وهيهات ان يُفْتَات عليها وتغضي مع ذلك على القذى وهي ملكة البحار وفي يدها مفاتيحها من بوغاز جبل طارق الى خليج بتشيلي فلا تستطيع المانيا ولا كذلك روسيا ان تخطوا في البحر خطوةً واحدة لتستوليا على املاكهما الجديدة الاَّ بعد اذن بريطانيا وسماحها . نعم ان روسيا يمكنها ان تمد خطها الحديدي في منشوريا الى فلاديفوستك بدون اذن بريطانيا اما ان تتقدم خطوةً واحدةً الى ما تعنَّت بمد هذا الخط من اجلهِ اعني الى بورت ارثر ودلني فلا . واما المانيا فاعجز من فتيل الدخان مع بريطانيا . وقد كان من حسن حظ بريطانيا ان دخلت المانيا في محالفة الروس وفرنسا لانها بدخولها تحتم على فرنسا وروسيا ان تسترضيا بريطانيا بما لم تكونا لتسترضياها بهِ لولا المانيا كما انهُ كان من حسن حظها ايضاً ان دخلت فرنسا مع روسيا فان فرنسا بدخولها مع روسيا قضي عليها ان تسترضي بريطانيا بما لم تكن لتسترضيها بهِ لولا روسيا كما سيظهر لك ذلك بعد قليل

فان قلت فلماذا تعنت روسيا لادخال هذه الدول معها قلت خوفها من انكلترا ان تتصدى لمانعتها دون الوصول الى رغائبها وهذه الدول مع انكلترا عليها فان هاتين الدولتين لو فرضنا ان روسيا كانت حالفت الصين بدون مشورتهما على ان تخرج اليابان من منشوريا لتحتلها هي كانتا

على الراجح في جانب انكلترا عليها واذا اتفقت كلمة هذه الدول الثلاث لم يكن للروس في الشرق الاقصى الاَّ الانخذال والصبر على مضض الخيبة والفشل الى ما شاء الله من الزمان

والخلاصة ان روسيا سبقت انكلترا الى الاتفاق مع فرنسا والمانيا ولم تكن انكلترا تستطيع سبقها الى محالفتهما لانها لو تصدت لذلك ابتداء ما وافقتاها على الراجح من جهة ولظهر طمعها واعتداؤها على اليابان وعلى الروس معاً من جهة اخرى

الاَّ انهُ بعد اتفاق الدول الثلاث على اليابان واخراجها من منشوريا وكوريا على ان روسيا تحتل بورت ارثر ويكون لها النفوذ في منشوريا وكوريا وعلى ان تحتل المانيا خليج كيوتشو في ولاية شاتونغ وفرنسا بعض جهات التونكين الخ بعد ان تمَّ كل ذلك واصبح الرجوع يُعدُّ فشلاً وايمًا فشلٍ على هذه الدول الثلاث معًا قامت انكلترا في وجه هذه المعاهدة تبرق وترعد وأعدّت اساطيلها الضخمة فجعلتها على قدم الدفاع عن الشرق الاقصى واعادت الكرة على الصين والزمتها ان تسلّمها "واي هاي واي" وهي الى ستين ميلاً جنوبي بورت آرثر وربما هي امنع منها حصنًا واوسع مرفأً للبوارج والسفن وستبقى هذه المدينة في يدها ويبقى نفوذها على البلاد المحاذية لها ما بقيت روسيا في بورت آرثر وبقي نفوذها في منشوريا

وسافرت مراكب الفرنسويين على التونكين وتلاها المراكب الالمانية على خليج كيوتشو وآخر الكل ذهبت العمارة الروسية الى بورت آرثر واحتلَّتها وذلك في سنة ١٨٩٨ وكانت العمارة الانكليزية مرابطة هناك فاظهر اميرالها المعارضة للروس لكن لم يلبث ان جاءهُ البرق من عاصمة بلادهِ ان اترك بورت آرثر وخلِّ الروس وشأنهم فيها . وكتاب الانكليز يتجاهلون ويلومون حكومتهم لانها امرت اسطولها بالخروج من بورت ارثر وتسليمها للروس

بورت ارثر في يد الروس

يستحيل ان تكون روسيا استأجرت بورت ارثر لوحدهِ بدون ان يكون بينهُ وبين سكنها في الشمال اتصال يربطهُ ببلادها بحيث يمكنها الانتفاع بهِ ولذلك لم تلبث ان ارسلت اليهِ عمارتها حتى باشرت بمد الخط الحديدي من خربين اليهِ والى دالني مارًّا بموكدن ولياوينغ وكينغ واظهرت في ذلك مزيد الهمة والسرعة وكل ذلك لم يكن مجهولاً لدى الحكومة الانكليزية الاَّ ان الامة الانكليزية لما رأَت الروس يجدون في تحصين بورت ارثر وقد وصلوا بينهُ وبين خربين بسكة حديدية حربية تخوفت على تجارتها ونفوذها في شمالي الصين فاخذت رسائل كتابها هناك وتقاريرهم تردُ على البلاد الانكليزية وكلها تصرخ بصوتٍ واحد ان روسيا ابتلعت منشوريا وشمالي الصين واصبح النفوذ الانكليزي والمصالح الانكليزية على وشك الانعدام

امام النفوذ الروسي والمصالح الروسية وسواءٌ كانت تقريراتهم هذه صحيحة ام مبالغ فيها فذلك مما لا نتعرَّض لهُ انما نقول ان الغرفة التجارية العليا في بريطانيا ارسلت اللورد تشارلس برسفرد وهو من امراء البحرية ورؤساء الجند الى الصين وظاهر هذه الرسالة انها للتفحص عن احوال التجارة خلوًا من كل صبغة سياسية الاَّ ان المطلع على تقرير هذا اللورد يرى انهُ زار ولاة اغلب الولايات الصينية المهمة وزار القلاع والحصون واستعرض الجيوش ووقف على عددهم وانواع اسلحتهم ونظامهم وما في الولايات من الذخائر والمون الحربية وعرف ما بين الولايات من العلاقات والارتباطات الى آخر ما يمكن لمثلهِ ان يعرفهُ . وغاية ما وصل اليهِ وهو من اهم الحقائق لامتهِ ان الجندية الصينية لا تستطيع ان تقف في وجه الروسية ولا يمكن لانكلترا ان تعوّل عليها لا في الحال ولا في المستقبل القريب في كبح جماح الروس والغضّ من تطوّلهم على النفوذ البريطاني هناك . ومن ثمَّ وجَّه هذا اللورد والقائد الشهير وجهتهُ صوب اليابان فتلقَّاهُ رجالها على الرحب والسعة واطلعوهُ على حال جيوشهم البرية والبحرية فعرف عددها واسلحتها ومبلغ تدريبها وما الى ذلك من وسائل النقل ومقدار الذخائر والمون فاعجبهُ كل ذلك ورجع الى بلادهِ في اوائل سنة ١٨٩٩ بعد ان مرَّ بالولايات المتحدة وهو على علم من احوال اليابان وما تستطيعهُ هذه الدولة من معارضة الروس برًّا وبحرًا والرضا مالئ قلبهُ ووجههُ وقد ادرك ان ضالة امتهِ التي تنشدها في معارضة النفوذ الروسي وكبح جماحهم انما هي في اليابان لا في الصين

والظاهر ان تقريرهُ حاز قبولاً عند امتهِ فانهُ مذ ذلك الحين اخذ الكتاب الانكليز يكتبون الفصول الطوال عن الامة اليابانية و يطرون ما وصلت اليهِ من العزَّة والمنعة واخذت جرائدهم على اختلاف نزعاتها من سياسية وعلمية تحبّر المقالات الانكليزية الرنانة عن اليابان وجنديتها البرية والبحرية وما بلغت اليهِ من حسن النظام ومزيد الضبط والتدقيق في جميع اداراتها حتى ان اللورد سالسبري لم يتمالك مجاراةً لاميال امتهِ ان كتب بعد حرب البوكسر كتابهُ المشهور الى حكومة اليابان قال في كتابهِ هذا ما معناهُ " ان حكومة جلالة الملكة لتعجب شديد الاعجاب بما بدا من الجنود اليابانية من الكفاءة والبسالة في الحرب الحديثة وكان لها من ثم اليد الطولى في نجاح هذه الحملة "

واشهر الكتاب الذين كتبوا في احوال اليابان ابن الكاتب المشهور ستد صاحب مجلة المجلات الانكليزية فان هذا الرجل ذهب الى اليابان فاستقبلهُ اهلها احسن استقبال حتى انهم خالفوا فيهِ قوانين بحريتهم ونقلوهُ بامرٍ سامٍ على دارعة من دوارعهم وهي حفاوة لم يسبق

لغيرهِ ان عومل بمثلها . فلما عاد الى بلادهِ اخذ يحبر المقالات البديعة عن اليابان واليابانيين فاقبل القوم على كتاباتهِ وحملوها محمل الحقيقة والصحة فتوهموا في انفسهم ما توهمهُ عنهم من العزّة والمنعة كل من اطلع على هذه المقالات

ومن العجيب ان الانسكلوبيذيا البريطانية في ملحقها لسنة ١٩٠٢ جرت مجرى بقية كتاب الانكليز في الوجهة التي اتخذوها من الاعجاب باليابان والامتداح من سياستها وجميع تدابيرها التي دبرتها ولاسيما في حربها مع الصين وغطت شيئاً على ما كان من مقاصدها في هذه الحرب كتوهم انها عادلة اقامت بها هذه الدولة حباً بالمدينة والانسانية وان الروس بخستها حقها وعمدت بغياً الى اذلالها وانتزاع ثمرة انتصارها منها

ولا بُدَّ لي من الاشارة هنا الى ان رجال الانكليز في اليابان اخذوا منذ سنة ١٨٩٥ في ان يثيروا خواطر اليابانيين على الروس و يؤصلوا بينهم الضغائن اي بدأُوا بذلك حال انعقاد المحالفة الثلاثية على اليابان واخراجها من منشوريا و بورت ارثر . والذي حاولوهُ في كتاباتهم ورموا اليهِ جميعهم عن قوس واحدة هو ان كوريا ومنشوريا ضروريتان لكيان اليابان لا تقوم لها قائمةٌ بدونهما وان الروس باخراجهم منهما تعمدوا الضرب على اصول كيانهم وحياتهم وان وضع منشوريا تحت سيطرة روسيا هو وهدم استقلال اليابان شيء واحد ونجحوا في ذلك حتى لم يبق احد في اليابان لهُ قول الاَّ ويقول بهذا القول ولم يقف الكتاب الانكليز عند هذا الحد بل اخذوا ينشرون المقالات الضافية الذيول عن الروس وعنف سياستهم وما في اداراتهم من الخلل والفساد وما بين رجالهم وشعوبهم من الضغائن والاحقاد ولا سيما عما في ماليتهم من الوهن والعجز حتى يخيل لمن يقرأُ بعض هذه المقالات ان الروس على شفاً من الافلاس. وآخر مقالة لاحد كتابهم المشهورين في مجلة القرن التاسع عشر عنوانها تاريخ بورت ارثر صرَّح فيها هذا الكاتب ان اليابانيين بواسطة جواسيسهم الكثيرين عرفوا كنه الروس وما فيهم من الضعف والوهن وانهُ لا يلبث ان يكشفوا لاهل العالم اجمع عن ظاهر الامة الروسية المموَّه وباطنها المشوَّه ما كشفوهُ عن ظاهر الصين وباطنها في حربها الاخيرة معها

وخلاصة ما يقال ان الكتاب الانكليز في مدى سنين قلائل اصَّلوا في نفوس اليابانيين اشد الكره للروس وجرَّأُوهم عليهم بما هوَّنوا من امرهم وما كشفوهُ عن مواطن الخلل والضعف في ماليتهم وجنديتهم ولا سيما الاخيرة لما يعترض دونها من بعد المسافات وصعوبة النقل والتموين وجاؤُوا على ذلك من الادلة والبرهين الظاهرة ما يخيل لكل من وقف على كتاباتهم ان الامر كما ذكروا . والظاهر ان جمهور الامة اليابانية اعتقدوا كل ذلك ولم يبقَ شيء

يحذرونهُ او يخشونهُ في محاربة الروس الآنَ اتحاد فرنسا معهم وانضمام اسطولها الى اسطولهم وهذا ما دفع الحكومة اليابانية الى الالتجاء الى الحكومة الانكليزية وعقد معاهدتها المشهورة معها فضمنت لهم هذه غوائل هذا المحذور ووعدتهم انها تكون معهم تحارب بازائهم فيما لو انضمت دولة اخرى (اي فرنسا) الى روسيا وحاربت معها

ماذا كان بعد ان احتلت روسيا بورت آرثر

لا نحتاج ان نعيد ما كان من مقاصد روسيا ولا ما كان من اليابان في معارضتها لها انما نقول انهُ لما اتفق الدول الثلاث مع الصين واخرجن اليابان من كوريا ومنشوريا أُكرهت انكلترا اكراهاً على التسليم بالمعاهدة الثلاثية الصينية التي من مقتضاها ان تستأجر روسيا بورت آرثر على مئة سنة وان توصل بينها وبين املاكها في اسيا بسكة حديد ولم يكن يخفى شيءٌ من كل هذا على انكلترا ولا ان روسيا تغفل عن تحصين بورت آرثر وجعلها من القوة والمنعة بمكان

الآن روسيا لم تقف عند هذا الحد فان حوادث البوكسر سنة ١٩٠٠ مهَّدت لها السبيل الى خرق اكثر ما وعدت بهِ في شأن منشوريا وذلك ان الحكومة الصينية المنشورية اشهرت الحرب علي روسيا فتذرعت روسيا بهذه الوسيلة الى ارسال عساكرها الى منشوريا واخضاع الثوّار فيها وانجلى الامر عن عقد اتفاقية بين معتمدها في منشوريا وبين الجنرال تسانغ التتري في موكدن مودّاها ان تكون منشوريا سياسيًّا وعسكريًّا تحت سلطة روسيا. ثم لم تقف عند هذا الحد بل كان منها في فبراير (شباط) سنة ١٩٠١ ان عقدت بينها وبين الصين بواسطة سفيرها في بطرسبرج معاهدة سرية لم ترد روسيا ان تشهر شيئًا من موادها والظاهر انها كانت تثبيتاً للاتفاقية التي انعقدت بين معتمدها في موكدن وبين الجنرال التتري هناك والمرجح ايضاً ان من موادها ان يكون لروسيا معاملة ممتازة عن غيرها من الدول في كل الاملاك الصينية المتاخمة للاملاك الروسية ومن جملتها منشوريا

كلمة نقولها هنا في شان روسيا وانكلترا

انهُ لا يخفى على احدٍ ما بين هاتين الحكومتين من التغاير في المصالح ومنازعة السلطة والسيادة في الشرق اجمالاً وفي الولايات الصينية الشمالية خصوصاً . واشتدت هذه المنازعة بعد استيلاء روسيا على بورت ارثر فانها ولا شك عزمت على ان تجعل هذا الميناء القوي محطاً لاساطيلها في البحر الصيني تهدد بهِ انكلترا وسلطتها البحرية في تلك الجهات وتنازعها السيادة والغلبة هناك وذلك مالا تصبر عليهِ انكلترا ثم لم تكتفِ روسيا بما سوغتهُ لها المحالفة الثلاثية بل اغتنمت انشغال الانكليز في حرب الترنسفال فاحتلت منشوريا احتلالاً سياسيًّا وعسكريًّا

واشهرت احكامها العرفية في تلك البلاد الواسعة وزادت ايضاً على ذلك معاهدتها السرية بينها و بين الصين ففرغ لذلك صبر انكلترا . لكن كان قد فات الفوت عليها بمعنى انهُ لم يعد في امكانها ان تمنع احتلال روسيا في منشوريا ولا ان تقف دون تحصين بورت ارثر ولا دون مد الخط الحديدي في منشوريا الذي يربط بورت ارثر ومنشوريا معاً بعاصمة الروس في اوربا . فماذا تفعل انكلترا ? انها كحكومة اخذت في الاحتجاج على الروس واخذت معها في جانبها حكومة الولايات المتحدة وما زالت الدولتان في لجاج مع دولة الروس حتى اضطرتاها الى ان تفتح دلني ونيوشوانغ للتجارة العامة وان تخفض شيئاً من غلواء معاهدتها الاخيرة مع الصين . هذا ما فعلتهُ انكلترا من حيث هي حكومة واما من حيث هي امة فانها فعلت اضعاف اضعاف ذلك وبيانهُ

ان هذه الامة النشيطة لما رأت ما يتهدد تجارتها ونفوذها في المستقبل فيما لو تُركت روسيا وشأنها بدون ان يصيبها صدمة تكسر من حدة شوكتها اشهرت حرباً عواناً على الروس كانت فيهِ الامة الاميركية على جانبها ايضاً لكن كان المحاربين في هذه الحرب كتّابها وتجارها ومرسلوها ووكلاؤُها جملةً على اختلاف انواعهم وطبقاتهم فان جميع هؤُلاء قاموا قومة رجل واحد على الروس فاثاروا احقاد اليابان عليهم بما الفوا من الكتب وخطبوا من على المنابر ونشروا على صفحات الجرائد يظهرون من معائب الروس ومطامعهم حتى خيّلوا لليابان كما المعنا الى ذلك سابقاً انهم ان لم يبادروا الى كبح جماح هذه الامة المعادية في القريب العاجل فلا أمل لهم بالنجاة من مخالبها في المستقبل وما زالوا يفتلون منها في الذروة والغارب حتى اداروها الى عقد محالفة مع دولتهم فذهب المركيز ايتو السياسي الياباني الى لندن وهناك امضيت المحالفة الانكليزية اليابانية المشهورة . والحق ان الشعب الانكليزي هو الذي عقدها مع الحكومة اليابانية وأبقى حكومتهُ على ولاء مع حكومة الروس فان قلت وكيف يكون ذلك قلت ان الحكومة الانكليزية لم تعاهد اليابان على حرب الروس وان كانت تعرف انهُ سيعقب هذه المحالفة الحرب بين هاتين الدولتين بل عاهدتها على ان تمنع حليفة الروس اعني فرنسا من انجادها باساطيلها وهذا مما تصرّح بهِ الحكومة البريطانية لاتتكتم بهِ ولا توارب فيهِ وتصرح معهُ ايضاً وهي صادقة انها على الحياد التام في الحرب الحاضرة . ولنمسك الآن عنان القلم فان الكلام قد طال وفيما ذكرنا ما ينبّه الى كثير مما لم نذكر وربما عدنا الى ذكر ملاحظاتنا عن هذه الحرب ونتائجها في عدد آخر والسلام

م . ع . ج

عدوى السل والوقاية منه (١)

سيدي الرئيس واساتذتي الكرام . افتتح الكلام بالثناء عليكم لما اوليتموني من الشرف العظيم بانتخابي لتقديم هذا الخطاب . غير اني أودُّ لو كنت من السامعين وكان مكاني من هو كفوءٌ لهذا المقام . وما اخرني عن الاعتذار سوى خوفي ان يُعدَّ ذلك عصيانًا لامر من وجبت عليَّ طاعتهُ وبخلاً بخدمة مدرسةٍ غمرتني بالفضل والاحسان . ولذا فقد لبيتُ الطلب وانا اعلم الناس بقصر باعي وبعد المطلَب

ان ما جرَّأني على الوقوف لديكم ايها السادة والسيدات عِلمي الاكيد بأَن هذا المحفل يضمُّ نخبة اهل العلم والادب . فيترفقون برجل عزم ان يبذل الجهد المستطاع في سبيل رضائهم وان كان لا يطمع ان يفوز بالمُرَام فالرِفق والحِلم من شؤون الكرام . ولي كلمةُ اعتذارٍ أُخرى عن موضوع الخطاب وهي انهُ قديمٌ مبتذل وقد بحث فيهِ من قبلي من هو اجدر بالخوض فيهِ مني ومع هذا فقد اقدمتُ عليهِ لاسباب جمَّة أَخُصُّ بالذكر منها ثلاثة

الاول ان مرض السل كان ولم يزل يشغل افكار اعاظم الرجال وعليهِ مدار البحث في اكثر الجمعيات الطبية وهو يفتك بالناس فتكا ذريعًا فكم من عين ابكاها وكم من قلبٍ ادماهُ فقد قدروا ما يهلكهُ في انكلترا وويلس فقط باربعين الف نسمة في السنة الواحدة . وان في فرنسا اليوم اكثر من خمس مئة الف مصاب اي واحدًا من ثمانين من عدد سكانها . وان نصف الذين يمرضون في المانيا من قطاعي الحجارة والبنائين وحفَّاري المعادن يصابون بهذا الداء . قال الدكتور براموَل ان عدد الذين يموتون بالسل في اوربا بقدر عدد الذين يموتون بسائر الامراض المعدية . وقال الدكتور هاي وَرد لولا السل لكان متوسط حياة كل مولود يزيد سنتين ونصفًا عن متوسطهِ الحاضر واذا عملنا هذا العديل بعد سن الخامسة عشرة تكون الزيادة ثلاث سنوات وربعًا

الثاني ان هذا الداء الفتاك وان اشتدَّت وطأتهُ وجُهلت للآن طرق علاجهِ وادويتهُ فهو قابل الاستئصال وتجنُّبهُ هيّن وان كان الشفاءُ بعد تمكنهِ من الجسم ضربًا من المحال فقد قرر بعض المدققين ان وفيات السل في بلاد الانكليز نقصت نحو ٥٠ في المئة مدة الخمسين سنة الاخيرة بتحسين التدابير الصحية فقط . وبعد هذا اهتم الناس كثيرًا بأمرهِ فألفوا الجمعيات

(١) الخطبة السنوية في احتفال المدرسة الكلية الاميركانية في بيروت تليت في ١٢ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٤

الكبيرة وصرفوا الاموال الباهظة لقطع دابره وشادوا المباني العظيمة لعزل المصابين ومعالجتهم بالهواء النقي والتعرض لنور الشمس وحرارتها فأَتي ذلك ببعض الفائدة ولكن دون المنتظر. واخيرًا اجمع الكلُّ على ان افضل الوسائط لنيل المرغوب تعليم العامة احسن طرق الوقاية

الثالث وهو اهمُّ ما حداني الى انتقاء هذا الموضوع ما اراهُ في بعض مواطنيَّ من الخوف العظيم من عدوى السل حتى انهم لايدخلون بيتًا فيهِ مسلول ويهربون من وجه ذلك المسكين اذا صادفوهُ في الطريق كما يهربون من الافعى فساءَت حالة المصاب بينهم الى حدٍ يرقُّ لهُ قلب الجماد ويفرض على محبي الانسانية النهوض لنصرتهِ والتخفيف من بليتهِ . والبعض الآخر يخالفونهم كلَّ المخالفة فهم لا يعتقدون بالعدوى اصلاً ولا يستعملون اقلَّ وسائط التوقي فتفشى الداء بينهم وازدادت الاصابات وباتوا في خطر يستوجب النظر والاهتمام ولذا انتهزت هذه الفرصة لعلَّ صوتي الضعيف يحرك في قلوب اهل المكانة والاريحية واصحاب الجرائد والاقلام غيرةً وحميَّة فيواصلوا السعي في التحذير والنصح حتى تتنوَّر عقول العامة ويدركوا اهمية الاعتناء بالصحة ونظافة البيوت ويعتدلوا في خوفهم

ولما كان الوقت المعين لهذا الخطاب وجيزًا فسأقصر البحث على عدوى السلِّ الرئوي فقط واذكر لمحة في الوقاية منها بوجه الاختصار غير متعرض للكلام عن العدوى الثانوية التي تتصل بالرئة احيانًا بعد التدرن المعوي وتدرُّن العظام والغدد اللمفاوية (وهو ما يسميهِ العامة بالخنازير) واضرب صفحًا عن انتقال ميكروب السل من الحيوان الى الانسان وعمَّا حدث من الاختلاف في هذا الشأن اذ لو ثبتت دعوى الذين يؤَيدون هذا الرأي لكان انتقال الميكروب الى جسم الانسان يتم باكل لحم او لبن الحيوان المصاب ويتسبب عنهُ التدرُّن المعوي اولاً وهو خارج عن موضوعنا الآن

اتَّفق جمهور الاطباء على ان السلَّ في الانسان يحدث من استنشاق باشلُّس كوخ (اي ميكروب السل) مع الهواء وتوطنهِ في رئة من توفَّرت فيهِ بعض الاسباب الآتية

اولاً انتهاك القوى الحيوية بسبب مرض مزمنٍ اعترى الجهاز الهضمي حتى لم يعد يقوى على اعطاء الجسم ما يلزمهُ من الغذاء

ثانيًا الاصابة بمرض في الدماغ . وهو الآلة التي تدير الجسد وتصونهُ من كل شرٍ وضرر وكاني بهِ مثل حارس على باب حصنٍ منيع اذا غفل عن حراستهِ يسهل فتح الحصن لجيش العدو وهذه حقيقة تؤَيدها كثرة الاصابات بالسل بين المجانين

ثالثًا اهمال الرياضة البدنية فتضعف عضلات الصدر ويصبح التنفس قصيرًا فلا يتبدَّل

الهواءِ في الرئتين تبدلاً كافياً وتقف حركة قمتيهما تقريباً فيسكن الميكروب فيهما آمناً مطمئناً

رابعاً الافراط في شرب الخمر واطالة السهر وادمان عادة سيئة لا يسعني سوى الاشارة اليها في مثل هذا المقام والازدحام في بيوت رطبة لا تدخلها الشمس ولا يتبدل فيها الهواءُ وعدم الحصول على الغذاء والملابس الضرورية والزوح تحت اثقال الهموم والاحزان مع الافراط في الاشغال العقلية الى ما شاكل هذه من الامور التي تؤثر في الجهاز العصبي والهضمي معاً وتسبب فقر الدم والهزال

خامساً ان الامراض الصدرية كالنزلة الوافدة وذات الرئة وذات الجنب وغيرها اذا اهملت معالجتها وطال زمن النقاهة منها تترك في الرئة قروحاً وضعفاً تلائم نموَّ الميكروب

سادساً ان يكون في المصاب استعدادٌ موروث وهذا لم تفهم حقيقتهُ جليًّا الى الآن الاَّ انهم يعتقدون انهُ يقوم بضعف في البنية وفي جوهر الرئتين يجعلها قابلتين لنمو ميكروب السل بنوعٍ خصوصي وقد قرروا ايضاً ان من الممكن السهل التغلُّب على هذا المزاج او الاستعداد بملاحظة كل ما من شأنهِ تقوية الجسم والعضلات

سابعاً واخيراً الخوف. ولولا خشية الانتقاد لوضعت هذا البند اولاً ومن منكم لا يعلم تأْثير الخوف في زمن انتشار الامراض الوبائية وكم يسبب فيها من الوفيات وكثيراً ما يكون مفتاح السل ومجلبهُ على ان ضيق المقام يمنعني من تأْييد ما قلت بالبرهان

هذا واني أرى في وجوهِ البعض علامات الدهشة والريبة وكأَني بكم تقولون كم شاهدنا من اصحاب الاجسام القوية الذين ذهبوا ضحية هذا الداء المشؤُوم. نعم ان ذلك قد يحدث احياناً ولكن لابُدَّ ان يسبقَ اليهِ شيءٌ من الشروط المار ذكرها. ولو تفحصتم الامر بالتدقيق لتأَكدتم صدق مقالي. واعلموا ان هذه حقائق وصل اليها كبار العلماء بعد البحث الطويل فان ميكروب السل وان كان كثيراً منتشراً في الهواء فهو ضعيف لا يقوى على الاقامة في الجسم الصحيح ولأَزيدكم اعتقاداً بصحة ما اقول واسكن جاش من يخاف بطش هذا الداء الهائل أُتحفكم باقوال اشهر الاطباء في هذا الصدد

قال العلامة الدكتور كوخ في خطابهِ المشهور في لندن سنة ١٩٠١ ان من الغلط الواضح ان نعدَّ عدوى السل مثل عدوى الجدري. وقال الدكتور باين ان العدوى في الامراض الوافدة تختلف باختلاف قصر مدة المرض وطولها فما كان منها قصير الاقامة تكون عدواهُ شديدة وسريعة كما هي الحال في الحصبة والكولرا والعكس بالعكس كما في السل والجذام وذلك على مبدإِ حفظ النوع فالميكروب الذي تكون اقامتهُ في جسم المصاب طويلة لهُ فرصة طويلة

للانتقال الى جسم آخر ولانتقاء من تتوفر لهُ في اجسادهم اسباب النمو والمعيشة وبعكسهِ ما كانت مدتهُ قصيرة فيكون اشد هجوماً ويقتحم كلَّ من يلقاهُ في طريقهِ خوفاً من فوات الوقت وانقراض نوعهِ

وقد نشرت الجمعية الطبية البريطانية منشوراً على اعضائها تسألهم فيهِ عن رأيهم في عدوى السل فورد عليها نيف والف جواب استنتجت منها ان العدوى في هذا المرض لا تتم الاَّ بعد المخالطة الطويلة التامة كما بين الزوج والزوجة فيما اذا كان المعدى مستعداً لقبول المرض واهمل الاحتياطات اللازمة لوقاية نفسهِ . وفي مستشفى فريدرخستين في برلين المختص بمعالجة المسلولين ٤٥٩ مستخدماً بين ممرض وخادم وطبيب خدموا فيهِ مدات متفاوتة فلم يسرِ المرض الاَّ الى اربعة منهم واثنان كانا مصابين قبل دخولهما في خدمة المستشفى . في ڤنتنور يسكن المستخدمون البناء الذي يسكنهُ المرضى وقد عالجوا ١٥٥٠٠ مريض في مدة ٢٢ سنة وخدم ٦٧٨ شخصاً منهم ٦٢ طبيباً بقوا كلهم اصحاء و ٢٠٨ اشخاص بين ممرض وممرضة اصيب منهم ثلاثة فقط و ٤٠٧ من الخدمة لم يصب احدهم بضرر وهكذا في مستشفيات اخرى

ومما يزيدكم دهشة وذهولاً ان الدكتور اوسلر الطائر الصيت احصى عدد الميكروبات الموجودة في بصاق مريضٍ واحد في مدة ٢٤ ساعة فوجدها تتراوح بين ١٥٠٠ مليون و ٤٣٠٠ مليون. تصوروا كم من ملايين الملايين تخرج من صدور خمس مئة مريضٍ في منزل واحد وكيف ينجو المئات من الخدمة الذين يقيمون بينهم نهاراً وليلاً مدة ايام وسنين طوال

اما طريقة انتقال هذا الميكروب من انسان الى اخر فقد اختلف فيها الباثولوجيون فمنهم من قال ان جراثيم العدوى موجودة في بصاق المريض فقط وهذا متى جفَّ يتطاير منهُ الميكروب مع الغبار فيدخل الرئتين مع الهواء وهو رأي كورنه واتباعهِ . اما فلوك واتباعهُ فقد اثبتوا ان الخطر الاكبر من النقط الصغيرة المنقذفة من فم المصاب وقت السعال اذ هي تنتشر حالاً في الهواء ووافقوا على الرأي الاول ايضاً وهو القول الصحيح المعوَّل عليهِ اليوم

بقي عليَّ الآن ان اذكر لحضراتكم افضل وسائل التوقي فاقول . يجب على كل من كان فيهِ استعداد موروث او مكتسب ان يصرف جُلَّ اهتمامهِ لتقوية بنيتهِ عموماً وعضلات صدرهِ خصوصاً وهذا يتم بواسطة التمرين بالجمناستيك والرياضة في العراء والاعتناء باللبس والطعام وبترك الاشغال المضرة التي تجبرهُ ان يتنشق كميةً وافرةً من الغبار او تقيدهُ بالاقامة في دكان او مكتب فاسد الهواء واذا اصابهُ مرض صدري وجب عليهِ ان يعالجهُ حالاً وان يسكن بيتاً ناشفاً نظيفاً معرضاً لحرارة الشمس ونورها وان ينبذ كلَّ إفراط في المعيشة ويتجنب مخالطة

المسلولين مخالطةً طويلة

واما ما ينبغي استعمالهُ في غرفة المصاب فقد جمعهُ الدكتور نيوز هولم في خطاب القاهُ على المتخرجين في مستشفى مونت فرنون فقال

ان السل مرض معدٍ لدرجةٍ محدودة ينتشر بالاخص باستنشاق باشلس كوخ فعلى المصاب ومن التزم تمريضهُ رعاية الامور الآتية حبًّا بمصلحة الفريقين لان المريض قد يصاب ثانية بتعرُّضهِ لعددٍ غفير من الميكروب

اولاً ينبغي ان يبصق المصاب في اناءٍ مخصوص وضع فيهِ كمية من سائل يصفهُ الطبيب لهذه الغاية وعند امتلاء الاناء تتلف محتوياتهُ بان يضاف اليها قليل من محلول السليماني او غيره ثم تدفن في الارض او تحرق ويطهر الاناء بالماء المغلي قبل ارجاعهِ لغرفة المريض وان يضع المريض امام وجههِ منديلاً لالتقاط النقط الصغيرة التي تخرج من فمهِ وقت السعال وهذا اذا كان من ورقٍ ياباني يحرق وان كان من قماش يوضع في الماء المغلي او في محلول سامّ بعد استعمالهِ ببضع ساعات واذا خرج المريض بقصد التجول في ازقة البلد او السفر في مركبة عمومية فعليهِ ان يحمل زجاجة خصوصية لوضع البصاق تكون ذات فمٍ واسعٍ وسدادةٍ محكمة

ثانيًا انهُ لا يكتفى بازالة الغبار وكناسة غرفة المصاب على الطريقة المألوفة بل يجب ان تمسح جدرانها وارضها بخرقة مبللة بالماء

ثالثًا ان اشعة الشمس والهواء النقي ألد اعداء باشلس كوخ وعليهِ يجب ان تكون غرفة المريض معرضة للشمس وان تبق نوافذها مفتوحةً في الليل والنهار بشرط ان لاينام المريض في مجرى الهواء

وانا اضيف اليها بندًا آخر فات الدكتور المومأ اليهِ وهو ان لا يبلع المصاب شيئًا من البصاق الذي يخرج من صدرهِ خشية انتقال المرض الى امعائهِ

واضيف ايضًا ملاحظتين مهمتين الاولى ان نفَس المصاب خالٍ من الميكروب الا وقت السعال والثانية ان ذوي الاجسام الصحيحة الذين يوجدون في ظروفٍ كهذه لا خوف عليهم من العدوى البتة

وقد طبعوا هذه البنود ومثلها على وريقات وزعوها بين الناس في اكثر البلدان المتمدنة فحبذا لو اقتدينا بهم في مثل هذا العمل البسيط المفيد كما نقتدي بهم في الازياء والعادات ولي الرجاء ان كلامي هذا ينبه جرائدنا الوطنية للاهتمام بهذا الموضوع الخطير

علي علم الدين

كلام في التربية [1]

ايها المحفل الكريم

اذا جريت على عادة خطبائنا المألوفة جعلت مقدمة خطابي الشكر والاعتذار — الشكر للحضور والاعتذار عن القصور

اما الشكر فواجب آخذُ بهِ واقدمهُ عن طيبة خاطر اولاً لمن ظنوا بي حسناً فدعوني للخطابة في هذه الحفلة الوقورة وثانياً لمن تكرموا بالحضور للاستماع

واما الاعتذار عن القصور وعدم الاهلية وما جرى مجراها فاني احسبهُ مظهراً من مظاهر المداهنة يأخذ بهِ الخطيب افتخاراً لا اعتذاراً واذ ذاك فاني اعدل عنهُ الى الالتماس من كل كريم مستمع ان ينبهني في النهاية الى كل ما غاير مفتكرهُ في كلامي فان في ذلك ازدياد التفاهم وتبادل الفوائد

ايها السادة والسيدات

حول مدينتكم الزاهرة صيداء بقعة غبياء لاتكاد العين تأخذ اطرافها . جنائن ناضرة وبساتين عامرة يتعهدها اصحابها فيسقونها ويحرثونها ويهذبونها ويسمدونها ويستأصلون منها مايضر ويدخلون عليها ما ينفع وبذلك كلهِ يتسنى لهم ان يستغلوها ويجنوا اثمارها المشهورة كالبرتقال والمشمش والموز والرمان وغيرها

سقي وحرث وتسميد وتهذيب واستغلال — كل ذلك من مقتضيات التربية في عالم النبات والناظر الى الشجرة الكبيرة ينسى انها كانت بادئ بدء بزرة صغيرة لا قيمة لها حسب الظاهر مع ان في طيها جوهر الشجرة وهيئتها ونسب اجزائها بعضها الى بعض وهي لم تصل الى ماوصلت اليهِ من النمو والتكامل الاَّ بعد ان تمكنت من التربة وتعرضت لفعل الماء والشمس والهواء . والانسان ايها السادة مثل الشجرة يولد طفلاً لا عقل لهُ حسب الظاهر ولا ادراك انما في طيات دماغهِ الصغير قد اودع جوهر الرجل الكبير بقواهُ وامياله التي تتجلى في مدى الحياة وهذه القوى والاميال قابلة الارتقاء وارتقاؤُها يسير على نظام محدود بحسب ما تتعرض لهُ من احوال التربية الموافقة او غير الموافقة

والغريب ان الواحد منا يربي بستانهُ ويربي فرسهُ لكنهُ قد يغفل تربية اولادهِ وهم اثمن

(١) خطبة تليت في احتفال مدرستي الصبيان والبنات الاميركيتين في صيدا

شيء عنده ُ واعز ملك لديهِ . يختار ابرع بستاني فيسلم اليهِ ادارة بستانهِ ولكنهُ قد يسلّم ادارة بيتهِ الى امرأة لا تحسن ادارة ويلقي تربية اولادهِ الى مرضع او الى مربية لا تعرف عن التربية القويمة شيئاً. هذا ما حداني الى الكلام عن التربية في هذه الليلة — التربية التي يعتمدها اهل التهذيب في البيوت والمدارس

والموضوع يا سادتي اوسع من ان يلم باطرافهِ باحث واعمق من ان يسبر غوره ُ مستقصٍ ولكن ما لا يدرك جله ُ لا يترك كلهُ وعلى هذا فاني قد طويت في خطابي بعض ما اجمع عليهِ مديرو التهذيب من اوجه التربية المفلحة التي تتناول طبائع الانسان الجسدية والعقلية والادبية

كان الناس يعتقدون ان الانسان هو المخلوق العظيم الذي من اجلهِ تشرق الشمس ويطلع القمر والنجوم وتهطل الامطار وتنبت الارض اما اليوم فقد زال هذا المعتقد وعرف الانسان انهُ من خلائق الله العاقلة خلقهُ الله في الطبيعة ليفهمها ويدرس يد الله فيها ويدرك نواميسها وقواها ويستخدمها لمنفعتهِ

عرف ان الطبيعة عادلة في احكامها واعمالها لا تحابي بالوجوه ولا تترك الزلات بل تجازي كل واحد حسب اعمالهِ سواءٌ كان المالك او المملوك الكبير او الصغير

عرف ان نواميس الخالق تقرأ في كتاب الطبيعة كما تقرأ في كتاب الوحي وانها ثابتة في الكتابين لا تغيرها اراء الناس واحوالهم فالنار تحرق والجاذبية توقع وتغرق كما ان الخطيئة تؤذي والشر يضر

عرف ان التربية القويمة هي التي توفق بين الانسان والطبيعة وتجعل الانسان العاقل يختال في صحبة الطبيعة غير العاقلة فيجتنب اذاها وينتفع بقواها

وقف على الراي القديم ان الفرد هو لا شيء بالنسبة الى الجماعة وان كل مصالحهِ وقواه ُ واملاكهِ ينبغي ان تضحى لاجل مصلحة الجموع وقيام الهيئة التي هو فيها وقابله ُ بالراي الحديث الذي رن في شوارع باريس سنة ١٧٩٤ وهو ان كل فرد هو المتصرف المطلق بنفسهِ وحظوظهِ يتمتع بالحرية التي يريدها ولا يحق لاحد ان يعترضهُ . ثم وفق بين الرايين واختار اوسط الطرفين وقال ان الحياة القويمة هي التي تعتبر فيها حياة الفردَ جزءًا من حياة الجمهور

رأى الناس في العصور الخوالي وتتبع سيرهم في العصور المظلمة وراقب نهضتهم في العصور الحديثة . راقب هبة العلم وتغلبهُ على الاوهام . راقب المرؤوس يطالب بحقوقهِ الرئيس . راقب قيام دولة وسقوط اخرى ورافق الدول الحديثة في سيرها يبحث عن دواعي تقدمها

نعم رأى كل ذلك وحكم ان عمران البلاد ليس الاَّ مظهرًا مجملاً للتربية التي تعتمدها تلك

البلاد وخير التربيات ما كان قائماً على اسس العلم مدعوماً بعمد العمل وهذا ما نسميهِ بالتربية المفلحة

كيف يربي الولد في البيت ؟ كيف يربى في المدرسة حتى اذا خرج الى العالم لينشئ بيتاً مستقلاً او يتعاطى عملاً ما عرف كيف يتصرف التصرف الحسن الذي يعود عليهِ بالفلاح ؟ هذا سؤَال لا يجيب عليهِ المسأول المدقق ما لم يسأل ما هي الغاية من التربية لان الوسائط تتوقف على الغاية

فاذا شئت ان تربي ابنك على الفروسة وحب الغزو والنهب والمعيشة الاستقلالية كما يتربى اهل البادية فلذلك طرق ووسائط

واذا شئت ان تنشئهُ على حب التنسك والزهد في الدنيا والانقطاع عن الناس للتقشف والتبتل فان لذلك وسائط ايضاً

واذا شئت ان تنشئهُ على التعصب في الدين فتبغضهُ الى غيرهِ ممن ليس على دينهِ وتضيق عقلهُ حتى لا يرى الفضل الاَّ في دينهِ وتابعيهِ فان لك وسائط لذلك

واذا شئت ان تربيهُ على حب العظمة والجاه والفخفخة في اللباس ومظاهر الزينة والحلى والافتخار بالحسب والنسب والتكبر على الغير فان لك وسائط لذلك ايضاً

واذا شئت ان تربيهُ على فهم نفسهِ وادراك ماحولهُ وتغذيهُ بالمعارف والاختبارات التي تتحملها طبيعتهُ وتدربهُ على اكرام غيرهِ والمحافظة على حقوقهم وتنشئهُ على حب الفضيلة وكره الرذيلة والتمسك بالصدق في اقوالهِ واعمالهِ والطاعة للخالق وخدمة المخلوق فان لك وسائط لهذا ايضاً

والخلاصة ان الغاية من التربية هي ما يختلف فيهِ الناس وبذلك تختلف وسائطهم واختلاف الغايات نتيجة اختلاف الطبائع ومقتضيات الاحوال

سهل ايها السادة على الغربي الذي يأتي بلادنا ويجول بين اهلها ويرى تباغضهم الطائفي وتعصبهم المذهبي وتلاعبهم في معاملاتهم ان يحكم عليهم بفساد التربية . سهل عليهِ ان يتهمهم بالكذب والمداهنة وعدم الدقة في اعمالهم . سهل عليهِ ان يقول ما يشاء ويشاؤهُ تسرعهُ بالحكم لانهُ لم يدرس طبيعة البلاد ولم يقف على تاريخ اهلها فيما مضى ولو فعل ذلك لابرم حكمهُ على اسلوب بعض ما يقال عنهُ انهُ دقيق محكم . فسورية التعيسة ساحة القلاقل السياسية ومعترك الحروب الدولية ومقر الاختلافات الطائفية ومعرض الفتن الاهلية هي التي ولدت اولادها وربتهم على حب التعصب والتشيع فحكم عليهم الغربي بما حكم

اما سورية السعيدة فهي الارض الممتدة من حلب شمالاً الى عريش مصر جنوباً الى الصحراء شرقاً . جبال شامخة وسهول واسعة . انهر واودية . حراج وجنائن . جوٌّ صافٍ وشمس مطهرة هي الارض التي تفيض لبناً وعسلاً

هذه سورية السعيدة بسمائها ومائها وهوائها لا بسكانها هبت عليها نفحة من التمدن الغربي والقت فيها مع ما القت بزوراً من اثمار التربية الحديثة فنبتت وكبرت واخذت تثمر من سنة الى سنة حتى ظننا ان العمران قد زحف الينا بخيلهِ ورجلهِ وانهُ لا يطول على سورية الزمان حتى نراها بفضل التربية الحديثة زاهية زاهرة . على ان هذا الظن ما لبث ان تحول الى شك عندما شاهدنا ان سوق هذه التربية لا تروج في سورية وان ابناءها مضطرون الى السعي وراء رزقهم حيثما تنسموهُ وهكذا باتت سورية وكثير من خيرة ابنائها بعيد عنها في مصر والسودان واميركا واستراليا . افننقم من التربية الحديثة لانها حملت البنين على هجر الوالدة ام نلقي اللوم على الوالدة لانها لم تحسن القيام على البنين ? هذا سؤَال يتعذَّر الجواب عليهِ فاتركهُ لكم واسأل ما هي التربية التي تعوزنا اذاً ? ما هي التربية التي اذا اعتمدناها نحن نخطو في سبيل الفلاح سواءٌ عشنا في سورية او غيرها ? وعلى هذا اجيب

للتربية ثلاث وجهات وجهة جسدية ووجهة عقلية ووجهة ادبية او اجتماعية ففي الوجهة الجسدية يتدرَّب الانسان منذ الصغر على الاعتناء بجسمهِ وصحتهِ . هذا الجسد الغريب الصنع والتركيب اثمن ما يملكهُ الانسان على هذه الارض وقد لا يملك شيئاً سواهُ ومع ذلك فانهُ كثيراً مايتصرف بهِ تصرفاً يضرهُ . من اين الاوجاع والآلام والامراض والعلل الجسدية على اختلافها ? اليست من جهل الانسان وتماديهِ بامور تضر بهِ ?

وعليهِ فان من اول واجبات الانسان ان يتربى على معرفة المحافظة على جسدهِ وصحتهِ ويتعود العوائد التي تكفل لهُ حسن الصحة والتمتع بمحاسن الطبيعة وجمالها

نسمع بالحرب وفظائعها وقتلاها فنستكبرها ونقدح فيمن سببوها ولكن ليكن معلوماً ان عدد الذين يقتلون نفوسهم اضعاف اضعاف الذين يقتلهم الناس ولا اعني بقتل النفس الانتحار بل عمل ما يسبب الموت جهلاً لنتيجة العمل

وهنا نرجع الى الطفولة مغرس العوائد والاكتسابات ونقول ان من واجبات الام ان تعرف كيف تربي الاطفال ليشبوا اقوياء البنية ميالين للحركة والرياضة الجسدية . والام التي تنهى ابنها عن كثرة اللعب خوفاً عليهِ من المرض او من ان يقع ويكسر يدهُ هي ام تجهل اسباب المرض وكسر اليد والاب الذي يكون في البيت ويرى اولادهُ يلعبون ويضجون ويزعم

ان هذا مما يحط من هيبتهِ كاب فيصرخ بهم بلهجتهِ العنيفة ليسكتوا هو اب يجهل معنى الابوة

قال احد علماء التربية ان كلمة اهدأ يجب ان لا تقال للولد والمعنى انهُ اذا كان الولد يلعب او يلهو بشيءٍ ما فهو يفعل ذلك مدفوعاً بطبيعتهِ التي من قوامها ان تطلب اللعب والحركة الكثيرة وهدوءهُ ينبغي ان يتسبب من الداخل من اكتفاء تلك الطبيعة بمقدار الحركة لا من الخارج من شخص متسلط على الولد ينهاهُ عن اللعب لانهُ لا يشعر معهُ بلزومهِ

مشهد ايها السادة من مشاهد التربية الجسدية

في الصيف الماضي قصدت عبيه لزيارة رئيس المدرسة الكلية فقيل لي انهُ خرج مع عائلتهِ للنزهة على عدوة واد قريب فتبعتهُ على الاثر واذا هو وامرأتهُ واولادهُ مشمرون عن سواعدهم وبيد كلٍ عصا طويلة يستعين بها على هبوط الوادي . فانضممت اليهم ومشينا معاً حتى بلغنا محلاً مشرفاً على ما حولهُ فجلسنا نستريح وكان هناك شجرة باسقة لا يزيد قطر بدنها عن عشرة قراريط فعمد اليها ابن الرئيس وهو في الخامسة من عمرهِ وطوقها بذراعيهِ واخذ يتسلقها وابواهُ ينشطانهِ الى ذلك غير مبالين بالهوة التي تحت الشجرة حتى تعب فنزل وقامت اختهُ وهي اكبر منهُ وحاولت ان تتسلق الشجرة مثلهُ فلم تستطع ثم قامت اختهُ الثانية فحاولت الطلوع وفازت فصفقوا لها استحساناً

رأيت هذا المنظر فقلت في نفسي من هو الوالد الشرقي او من هي الوالدة الشرقية اللذان يريان اولادهما يتسلقان الاشجار فينشطانهم الى ذلك لتقوى اعصابهم وتنفتل عضلاتهم. هذا سر من اسرار تقدم الامم السكسونية سر تربية الصغار وتنشئتهم على الاعمال التي تقوي ابدانهم وعقولهم وتجعلهم يميلون الى الاستقلال منذ الصغر

نحن لا ننتظر من الجيل القديم الاَّ ان يبقى على قدمهِ اما من هذا الجيل فاننا ننتظر الاصلاح من بني التربية الحديثة و بناتها منكم انتم ايها الفتيان والفتيات نتوقع اصلاح البلاد باصلاح التربية فيها

ومع تربية الجسد ينبغي ان يربى العقل فكما ان الجسد يستلزم الغذاء والحركة الذاتية لنموهِ وصحتهِ هكذا العقل يستلزمهما ايضاً . وغذاء العقل ما يلقى اليهِ من المعارف والاختبارات من القصص والحكايات من اجوبة الاسئلة التي يوجهها الولد الى مربيهِ وتمرينهُ يتم بان يسال عما تعلم وعما يجيب على هذا السؤال وتلك القضية وما شاكل ذلك من التمارين العقلية

ولا يمكنني ان اطيل الكلام في هذا . انما خلاصة ما اقولهُ ان غذاء العقل كغذاء الجسم ينبغي ان يكون معتدلاً قابلاً للهضم والتمثيل . وما مثل الذي يكلف الصغير حفظ مالا

تحملهُ طبيعتهُ الاَّ مثل من يقدم اللوزة للطفل الصغير و ينتظر منهُ ان يأ كل لبها فيضعها في فمهِ ويبلها بريقهِ ثم يبصقها الى الارض ولو قدمت تلك اللوزة الى ولد اكبر لعرف كيف يستخرج لبها وتلذذ بأ كلهِ

هل تتصورون ايها السادة ان من الناس من يحشو معدتهُ بالمواد العسرة الهضم ويبقى سالمًا ? هل رأيتم ولدًا يطعم ما يكره على ابتلاعهِ دون ان يمرض

ولكن هل رأيتم معلمًا يحشو ذاكرة تلاميذهِ بالفاظ وعبارات لا يفقهون لها معنًى دون ان نقل رغبتهم في الدرس ? هل رأيتم معلمًا يرسم اعمال الحساب على اللوح الاسود ثم ينقلها الى دماغ التلميذ بضربهِ على يديهِ او قدميهِ . لماذا يجرُّ بعض الاولاد جرًّا الى المدرسة ? ممَّ يخافون وماذا يكرهون ? ايخافون الجلوس على المقعد وفتح الكراسة ذات الصور ? أيكرهون القراءة والكتابة ام يخافون المعلم وقضيب الرمان ويكرهون الكف وفرك الآذان ?

من منا يسلم ادارة بستانهِ الى بستاني غير خبير ? ولكن كم هم الذين يسلمون اولادهم الى معلم لا يعرف من التربية الاَّ اطرافها يستقرئ الولد او يستكتبهُ فاذا جاء بالمطلوب فبهِ والاَّ ضربهُ فكأَن التعليم ينال بالضرب وقسر الارادة لا بفهم طبيعة التلميذ واستخدام الطرق المناسبة لها

نسمع التلامذة عادة يشكون من صعوبة اللغة العربية ولا يميلون الى درسها والذنب في ذلك ليس على اللغة بل على المؤلف اولاً وعلى المعلم ثانيًا لانَّ تآليفنا اللغوية عبارة عن مجموعة قواعد للاستظهار معظمها تافه ويزيد المعلم طينتها بلة بانهُ يجري عليها حرفًا حرفًا على منوال واحد فكأَنهُ ينسى ان مطالب هذا العصر غير مطالب العصور السالفة ودخول اللغات الاجنبية زاحم لغتنا وتركها في مقام حرج في المدارس العالية

فمن لنا بمدرسين يتخذون صناعة التدريس لا لسهولتها بل لسموها وما يترتب على اتقانها من التأثير البليغ في عقول التلامذة واخلاقهم واذ ذاك فلا يكتفون بالنسج على المنوال القديم بل ينصبون على درس اصول التربية واساليبها القديمة والحديثة ويجعلون همهم الاول فهم طبيعة التلميذ ودرس اخلاقهِ واميالهِ وملاحظة نموهِ في القوى العقلية ثم يستخدمون الاساليب التي توافق تلك الطبيعة وتزيد التلميذ رغبة في الدرس والاستفادة

ليعلم المعلم انهُ هو طباخ التلاميذ يطبخ لهم الطعام العقلي ويقدّمهُ اما رديئًا يعسر هضمهُ ويؤلم واما جيدًا يلذ طعمهُ و يغذي واذ ذاك فمن واجباتهِ ان ينوّع مطبوخاتهِ ويناولها كميات تناسب سن التلميذ وذوقهُ ومقدرتهُ على الهضم والتمثيل . وكما ان الجسم لا يكتفي بالغذاء بل يطلب معهُ الحركة والتمرين هكذا على المعلم ايضًا ان يحرّك دماغ التلميذ باسئلتهِ ويمرنهُ على

الافتكار والاستنتاج العقلي وتمييز الصحيح من الغلط . هذا ما ينبغي على المعلم ان يتوخاه' وهذا هو مرمى التربية العقلية

اما التربية الاجتماعية فهي من اوجه شتى اهم من غيرها . كيف نعيش . قال سبنسر ليس السؤال المهم لنا كيف نعيش بالمعنى المادي بل باوسع معنى كيف نعامل الجسد ؟ كيف نعامل العقل ؟ كيف ندير اعمالنا ؟ كيف نربي العائلة ؟ كيف نسلك كمدنيين ؟ كيف نستخدم مصادر السعادة التي تجهزها لنا الطبيعة ؟ كيف نستعمل قوانا كلها لمنفعتنا ومنفعة الغير ؟ وبعبارة اخرى كيف نستكمل المعيشة ؟ اسئلة كثيرة يرد جوابها هربرت الفيلسوف الالماني بقولهِ «ان الغاية من التربية بنيان القوى الادبية في الانسان» هنا ملتقى التربية البيتية والمدرسية استكمال المعيشة باستكمال القوى الادبية

وعليهِ فسواء تربَّى الفرد ليكون صانعاً او تاجرًا او زارعاً او جنديًّا او حاكماً او غير ذلك فليترب على الرجولة الحقة ولتكن هذه مركزًا تدور عليهِ علومهُ وصنعتهُ ومعاملاتهُ مهما كانت والرجولة الحقة صورة كمالية اساسها معرفة النفس ونسبتها الى الخالق والمخلوق واتصافها بالصفات الحسنى التي تصدر عنها الحكمة في الاقوال والافعال . الرجولة الحقة حياة منظمة تنقضي ساعاتها في العمل المفيد . هي حلقة من سلسلة الوجود النافع تتصل بغيرها فتقرّب الانسانية المتجسدة من نقطة الكمال

فاليكم ايها المربون كبارًا وصغارًا اوجه كلماتي الاخيرة . انتم مدبرو الهيئة وقادة العقول . انتم مصلحو الجنس وخدمة الانسانية فلا تستصغروا مهنتكم الشريفة بل ثقوا بافضليتها وتناولوا الذين تربونهم بيد الحكمة والتعقل غير ناظرين الى الولد الصغير بل الى الرجل الكبير الذي سيكون منهُ

عوّدوا الذين تربونهم الاعتناء باجسامهم واكتساب العادات التي تكفل لهم حسن الصحة . وربوهم على الاعتدال في المآكل والمشارب على الرياضة في الهواء النقي على حب العمل وكره البطالة

ربوهم على احترام الامهات والاخوات واشربوهم منذ الصغر معنى المثل العربي المأثور ان "كل ذات صدار خالة"

ليترفع كلٌّ منَّا عن سماع القصص السافلة التي تغض من قدر المرأة وليشب على احترامها وحسن الظن بها

وانتم ايها الاباءُ والامهات ربوا اولادكم على عدم التعصب الديني . هذا هو الداءُ الذي نئن

منهُ سورية وهذا علة تأخرها . هذا هو بلية بيروت زهرة المدن السورية . فما اجهلك ايها المسلم الذي تقوم على اخيك المسيحي . وما ابعدك ايها المسيحي الذي تنشأ على بغض اخيك المسلم عن جادة الدين القويم دين المحبة والسلام . الست انت والمسلم واليهودي من طينة واحدة ؟ ألا تضمكم بلاد واحدة ولغة واحدة ودولة واحدة ؟ فما اجدركم ان تعيشوا بالوفاق والالفة وتعملوا معاً على النهوض تشبهاً بالامم الجارية في سبل المدنية والعمران

ربوا اولادكم على احترام العمل والعاملين " (١) لانهُ قد مضى الزمن الذي كان الشرقي يعد الصناعة فيهِ عاراً وصغاراً ويترفع عن مخالطة صناع بلادهِ ازدراء واحتقاراً واصبح عقلاء الشرقيين يقدرون الصناعة قدرها علماً منهم بفعلها في ترقية شؤُون الاوربيين وبفضلها في رفاهة عيش المتمدنين فلا يفرقون اليوم بين ابن الحائك وابن الملك "

ليمر الواحد منا بالفاعل الذي يتصبب العرق من وجههِ ويحيهِ بقولهِ الله يعطيك العافية ليخاطبهُ بنظرهِ قائلاً انت الذي تعلمني مثالة لا تعلمنيها الكتب ولا اراها في غرفة الدرس بمظهرها الطبيعي انت تعلمني شرف العمل والامانة فيهِ . انت تذكرني بقول الكتاب بعرق وجهك تأكل خبزك

نعم ليعلم الناس اجمع ان المدرسة مهما زرعت في رأس التلميذ من المعارف والاختبارات فهي لا تخلط معها بزور كره العمل والاحتراف . المدرسة لا تربي التلميذ على التأنق الزائد في اللباس وحمل العصا الافرنجية وتجعل منهُ صورة مكتوباً على جبينها انا ابن مدرسة اعرفوني من هيئتي

نددوا ايها المربون بعادة التشبُّه بما لا طاقة لنا بهِ واغرسوا في عقول الذين تربونهم ان جمال النفس يستغني عن جمال الثياب وان افضل طريق للحياة الحسنة هو العمل الحسن

ربوهم على سعة النظر والمبادئ الحرة . على حسن استخدام الوقت والدقة في الاعمال

انزعوا عبارات " مايسايل وما عليش ومشي الحال " من دفتر التربية لانها آفة كبيرة في الشرق

واعلموا ان الانسانية الحقة لا تولد مع الانسان بل تنمو فيهِ ويتجسد عليها ويتدرب على القيام بمطالبها . هذا هو مرمى التربية وعمل المربين فالسلام على التربية والسلام على المربين

بولس الخولي

(١) مقتطف الجزء السادس صفحة ٤٧٥

الملح

من مقالة للاستاذ تشارلس سوبر نشرت في مجلّة العلم العام الاميركية

من الامور الثابتة ان الانسان الحالي مهما اختلفت منزلتهُ في سلّم التقدم الاجتماعي يتناول الملح مع طعامهِ . وربما صحّ هذا القول ايضاً في الانسان الماضي. فقد وجدوا الملح بقرب جميع الاماكن التي قطنها الانسان قديماً او حيث كان يستطيع الوصول اليهِ بلا مشقة كثيرة والحيوان مثل الانسان في ذلك فان معظم الحيوانات الداجنة مولعة بهِ وكذلك بعض الطيور وآكلة العشب تحبُّ اكلهُ بنوع خاصّ سواءٌ كانت اهلية او برية . ومن الامور المشهورة ان هنود اميركا وبيضها كانوا يصيدون الغزال والجاموس وغيرها من آكلة الاعشاب قرب البحيرات المالحة في اميركا لان تلك الحيوانات كانت ترد البحيرات لتتعلَّل بمياهها وقد وجدوا عدداً عظيماً من جثث الحيوانات مدفوناً فيها وعلَّلوا ذلك بان بعض الحيوانات كان يوغل في البحيرات طلباً للماء الملح حتى يبلغ مكاناً عميقاً فتغور قوائمهُ في قعر البحيرة بمجرد ثقل بدنهِ ولا يستطيع انقاذ نفسهِ فيهلك جوعاً . وبعضها كان يزحمهُ غيرهُ من خلفهِ فيسقط في الماء ويموت اختناقاً

على ان هناك شواهد كثيرة تدلُّ على ان بعض اصناف الناس لم يكن يتناول الملح في طعامهِ . فقد قال المؤرخ سالست ان اهالي نوميديا كانوا يقتاتون باللبن ولحوم الحيوانات البرية ولم يأكلوا الملح ولا غيرهُ مما يسيغ الطعام ويهيج الشهية ويقال ان كلمة الملح في لغة اهالي فنلندا مشتقة من الاصل الهندي الاوربي فاذا صح ذلك كان دليلاً على ان اهالي فنلندا لم يكونوا يعرفون الملح قبل امتزاجهم بالسلاف وعنهم اقتبسوا الملح واسمهُ . وقد ورد في قصائد هوميروس المعروفة بالاودسي ان العرّاف تيريسياس امر عولس بالسفر حتى يصيب قوماً لا يعرفون البحر ولا يأكلون لحماً مطيَّباً بالملح . وروى المؤرخ الشهير تاسيتس ان قبيلتين سماها اقتتلتا في اواخر القرن الاول من التاريخ المسيحي قتالاً شديداً على امتلاك نهر يتولد منهُ الملح اعتقاداً منهما ان السماء قريبة منهُ وانهُ خير مكان لرفع ادعيتهم وابتهالاتهم الى الآلهة . وكانوا يستخرجون الملح من مائهِ بصب الماء على حزمة حطب مشتعلة فكان الملح يرسب في الاسفل . والسبب في تقديسهم ماء النهر اعتقادهم ان الملح من مولدات البحر فاذا تولد عن غيرهِ كان ذلك بتوسط من الآلهة

وذكر ابلينيوس المؤرخ الروماني المشهور اموراً كثيرة عن الملح في كتاب " التاريخ الطبيعي " الذي ألفهُ فعدد الاماكن التي كانوا يستخرجونهُ منها في زمانهِ ووصف طرق استخراجهِ وقال ان المواشي تحب اكلهُ وانهُ اذا أُضيف الى طعامها زادت كمية الجبن الذي يفرز من لبنها وتحسنت صفتهُ . وكان الرومانيون يعدُّون الملح قوام الحياة فتحافظ كلُّ عائلة منهم على المملحة اعتقاداً انها مقدسة وعليهِ قال هوراس الشاعر الروماني في احدى قصائدهِ ان الرجل المتمتع بالحياة هو الرجل الذي تلمع مملحة ابيهِ على مائدتهِ . وقال في موضع آخر يخاطب رجلاً من اتباع ابيقورس صاحب القاعدة المشهورة " لنأكل ولنشرب لاننا غداً نموت " ان الخبز والملح يسدَّان جوع معدتك الفارغة فخيرٌ لك ان تنبذ اللحوم الفاخرة

ومن القواعد العمومية في فرض الرسوم والضرائب انهُ اذا ارادت حكومة زيادة ايرادها وقع معظم الحمل على ضروريات المعيشة والملح في جملتها . والمرجح ان جميع الحكومات المنظمة القديمة كانت تفرض الرسوم على الملح . فقد كان الرومانيون يأخذون عليهِ رسوماً ولا تزال الحكومة الايطالية محتكرة اياهُ الى الآن وربحها منهُ ١٣٠٠ في المئة فيصير بذلك غالي الثمن لا يصبر الفقير على مشتراهُ . على ان منع الملح عن الفقراء مضر بصحتهم ولا ريب ان تخفيض ثمنهِ حتى يتمكنوا من مشتراهُ ويكثروا من تناولهِ يحسن الصحة العمومية بينهم

وليس بين مواد الطعام مادة غالت الحكومات في احتكارها اجحافاً بمصالح رعاياها مثل الملح . فانهُ لما رأت الحكومات ان لاغنى عنهُ في طعام الانسان والماشية اغتنمت تلك الفرصة لزيادة مواردها المالية فقد كانت ضريبة الملح في فرنسا قبل عهد الثورة تختلف باختلاف مقاطعاتها وكانت الحكومة تحظر نقلهُ من مقاطعة الى أُخرى وتحتكر صنعهُ وتستخدم عمالاً يجمعون ما تولد منهُ على السواحل بالتبخير ويلقونهُ في البحر ثانية . فكان غالي الثمن جدًّا وكانت الحكومة تكره معظم الاهالي على مشترى قدر محدود منهُ على نسبة عدد افراد العائلة . ولكنها كانت تميز بعض رعايا وتهبهم من الملح ما يحتاجون اليهِ مجاناً وتمنحهم مالاً مقابل ذلك اذا شاؤُوا وتعاقب كلَّ من يخالف قوانين الملح معاقبة شديدة اما بالغرامة او بالجلد او غيرهما من العقوبات . وكثيراً ما كانت تشنق الذين يكررون المخالفة . وكانت تحظر على الفلاحين استعمال الماء الملح الذي يوضع اللحم والسمك فيهِ لحفظهما فلم تكن تسمح لهم بادخالهِ على طعامهم ولا على علف مواشيهم . وتحظر على الاهالي استخراج الملح من ماء البحر وتسمُّ الماء الملح الذي تسمح للدباغين بأخذهِ من البحر لاستعمالهِ في صناعتهم لئلا يدخلوهُ على طعامهم

وكانت قوانين الملح في المانيا اكثر صرامة منها في فرنسا · وبقيت الحكومة محتكرة لهُ الى سنة ١٨٦٧ . اما النمسا فلا تزال حكومتها تحتكره ُ الى الآن مثل ايطاليا وغيرها وهو اغلى فيها منهُ في المانيا · واما الولايات المتحدة الاميركية فلم تضرب على الملح ضريبة ولا جمعت منهُ ايراداً لخزينتها ولكن لما وضع مجلس الامة فيها قانون حكومة الولايات الغربية وبيع الاراضي فيها اشترط ان تبقى مناجم الملح للحكومة خشية ان يستبدَّ ارباب الاملاك بهِ ويحتكروهُ فيقع معظم الحيف والظلم على الفقير من الاهالي

وكان بعض الامم القدماء يضيفون الملح الى ذبائحهم التي يحرقونها للآلهة مثل الاسرائيليين كما نصَّ عليهِ سفر اللاويين اما المصريون القدماء فكانوا يتنجسون بهِ فقد قال فلوطرخس ان كهنتهم كانوا ينبذون الملح عن موائدهم ويأنفون مكالمة ربَّان السفينة لانهُ يعمل في البحر ولا يأكلون السمك لانهُ يخرج منهُ · وعاد فقال في موضع آخر ان الكهنة كانوا يمتنعون عن اكل الملح لانهُ يهيج الشهية الى الطعام والشراب ولكن شهادة اليونان عن مصر مجروحة لا قيمة لها لان مصر كانت في اعين اليونان بلاد العجائب والغرائب · فقد كانت بلاد شمال افريقية منذ القدم مستودعاً كبيرًا للملح · قال هيرودوتس وعلى سفر عشرة ايام من طيبة عرم كبيرة من كتل الملح على التلال ومن روُّوس تلك التلال تنفجر عيون الماء الملح . ويقطن تلك البقعة قوم يسمون بالامونيين وعندهم هيكل جوبتر امون المشهور · والواحة التي هناك كانت فيما غبر قعر بحيرة من الماء الملح ولا يزال فيها ينابيع الماء الملح الى الآن والمرجح ان العقّار المعروف عند اهل الكيمياء باسم "ملح الامونيا او ملح النشادر" مأخوذ اسمهُ من اسم البقعة المذكورة آنفاً اما لانهُ اول ما صنع فيها او لانهُ وجد في حالتهِ الطبيعية هناك

ويكثر وجود الملح في اماكن عديدة من شمال افريقية وعلى مسافة بعيدة من الساحل والاهالي يستخدمون حجارة الملح لبناء منازلهم لا لقلة الحجارة بل لان حجارة الملح اسهل نحتاً ولا خوف عليها من الذوبان لقلة سقوط الامطار هناك وهي ليست من الملح النقي بل مشوبة بالتراب · وبعض اقسام الصحراء مغطىً بطبقة من الملح على مسافات طويلة يظهر بها سطح الارض ابيض كانهُ مغطى بالثلج · ومهما يكن في بعض اقوال هيرودوتس وغيرهِ من الكتاب الاقدمين من المبالغة في هذا الصدد الاَّ ان ابحاث المكتشفين المحدثين تؤيد كثيرًا من اقوالهم فقد قال المسيو ديبوى في كتابهِ المسمى «غرائب تمبكتو» ان الملح ذو قيمة عظيمة في تلك الجهات مع كثرتهِ واكتشف مناجم ملح في قلب الصحراء وقال ان الاهالي يبنون بيوتهم من حجارتهِ ويسقفونها بجلود الجمال · وهو يوجد في الارض مغطيً بطبقة رقيقة من الرمل

فيستخرج منها كتلاً كبيرة تنحت قطعاً طول الواحدة منها ثلاث اقدام ونصف وعرضها قدم وربع ومنظرها كمنظر الرخام الاحمر وفيهِ عروق رمادية اللون ثم تدمغ بدمغة التجار المختلفين ومتى اخذت الى تمبكتو رسموا عليها نقوشاً سوداء وكتبوا عليها اسماء بعض الاولياء بأحرف عربية ثم ربطوها حزماً وباعوها . والبيضاء منها تفضل الحمراء . والسوداني يبذل كل ماعندهُ فياضاً بكتلة من الملح وهو عندهُ اعزّ من الذهب واغلى

والمالحة دليل الوداد وحسن الضيافة عند القدماء والمتأخرين ولا تزال قبائل السلاف تكرم الضيوف بتقديم الملح والخبز اليهم . والعربي يستحلف خصمهُ بالخبز والملح اللذين بينهما اذا اختلفا على شأن من الشؤُون . ومن النصائح القديمة قولهم " قبلما تصطنع صديقاً كلْ معهُ كيلاً من الملح " وقد ذكرها ارسطو وشيشرون في كتاباتهما . وقال احد الشرّاح الاقدمين في شرح هوميروس انهم كانوا يعدون الملح اصدق علائم الوداد اما لانهُ كان يقدم الى الضيوف قبل غيرهِ او لانهُ مضادٌ للفساد . وورد في سفر العدد ذكر الملح بين التقدمات التي كانت تقدم الى الله عند ابرام العهود والمواثيق

وكان الرومانيون يعدُّون الملح ضروريًّا لجيوشهم فكانوا يقدمون الى كلّ جندي جراية خصوصية منهُ او مالاً مقابلها يشتري الملح بهِ لنفسهِ. وفعلوا مثل ذلك مع موظفي الحكومة في اسفارهم المختصة باشغالها ثم لما صار الحصول على الملح سهلاً استبدلوهُ بالدراهم ونقدوهم اياها عوضاً عنهُ . ومن ذلك اشتقت لفظة "سلري" في اللغات الاوربية ومعناها راتب او اجرة شهرية

هذا ولايزال العلماء في خلاف على ما اذا كان الملح ضروريًّا للحياة الحيوانية او لا . فاذا صحّ ان الحيوانات البحرية اصل الحيوانات البرية فمن الصواب ان نفرض ان مبدأ الرجوع الى ذلك الاصل يهيج في الحيوانات ميلاً طبيعيًّا الى الملح ليس اكثر . ويقول بعض العارفين من الجهة الاخرى ان آكلة الاعشاب من الحيوانات تجد في طعامها كمية كافية من الملح لسدّ مطالب الجسم الطبيعية ومنها تنتقل الى آكلة اللحوم . والذين يقولون ان الحيوان يتناول كمية كافية من الملح بواسطة طعامهِ يقولون ايضاً ان شدة ولوع معظم الناس وبعض الحيوانات الاخرى بالملح ناشئة عن انحراف في الذوق ويستشهدون على صحة ذلك بشدة ميل الكلاب وغيرها من البهائم الى اكل الحلوى مما يدل على انحراف في الذوق يفضي الى الاضرار بها . ومن المؤكد انهُ ليس بين المواد المعدنية مادة يأكلها الناس بشراهة مثل الملح والمرجح ان مقدار ما يؤكل منهُ آخذ في الازدياد على التوالي . اما اذا كانت الحياة الحيوانية تقوم بلا ملح اولا فمسألة لايمكن الجزم بها ولا نفيها بما لدينا من وسائط العلم والمعرفة

قوانين يوستنيانوس

(تابع ما قبلهُ)

الفصل الحادي والعشرون في ابطال الوصيَّات

إبطال الوصيَّات شرعي وهو يقع اما بالألفاظ التي هي نصٌّ في الابطال او بما يدلّ عليهِ وقد يقع باستعمال سائر انواع اللفظ

(١) الوصيَّة يجوز ان تحوَّل عن شخص الى آخر اما بكتاب الوصاية نفسهِ او بملحقٍ بهِ وهو المعروف بالكُتيّب

الفصل الثاني والعشرون في شريعة فلسيديا

ان شريعة فلسيديا قد وُضعت لأَن تمنع الايصاء بما فوق ثلاثة أَرباع التركة[1] وذلك ليبقى الربع للوارث او للورثة سواءٌ أُقيم وارثٌ واحد او ورثةٌ متعددون

(١) يجب انفاذ شريعة فلسيديا لكل من الورثة على حدةٍ

(٢) قيمة التركة تثمَّن وقت الموت

(٣) انهُ بحسب ترتيب شريعة فلسيديا يبدأُ بوفاء الدين وتجهيز الميت واداء ثمن العبيد المحرَّرين وهلمَّ جرًّا بحيث يبقى الربع للوارث والثلاثة الارباع تُوزَّع بين الموصى لهم على مقدار النصيب الموصى بهِ لكلّ منهم[2]

الفصل الثالث والعشرون في التركات الاستيداعية

(١) اعلم انهُ في ايام القدماء لم يكن على الودائع رسم ثم ان اغسطوس أَمر القناصل ان يدخلوا في مسائل الودائع فاصبح ذلك سلطةً اعتيادية حتى أُقيم قاضٍ خاص ينظر في طلب الاستيداع ويجيب اليهِ

(٢) من المعلوم انهُ قبل كل شيء ضروري ان يقام بواسطة كتاب الوصية الشرعي شخص كوارث صريح لكي يصحّ ان يفوَّض الى ذمتهِ الميراث المكلَّف ان يسلمهُ الى ثالث ويجوز ان يكلف وارثهُ الجزئيّ . ولهُ ان يترك الوديعة اما مطلقًا او تحت شرط او الى اجل محدود

---

(١) وفي الفقه لا يجوز الوصية الاَّ بثلث التركة وليس لهُ ان يوصي لوارثٍ الاَّ باجازة الورثة

(٢) في الفقه الاسلامي "من اوصى وعليهِ دين يحيط بمالهِ لم تجز الوصية لان الدين مقدَّم عليها لانهُ فرض وهي تبرُّع" وهذا مما لا يقع الاختلاف فيهِ في شريعةٍ من الشرائع العادلة

الكتاب الثالث

الفصل الاول في التركات غير الموصى بها

الميت غير الموصي من لم يعمل وصيةً . او من اوصي ولم يتبع في وصيتهِ الاحكام المرعية او من فسخت وصيتهُ . او ابطلت . او لم يقم بها وارث

(١) تركات من ماتوا ولم يوصوا هي بحسب شرع الالواح الاثني عشر[١] للورثة الشرعيين

(٢) الورثة هم الذين كانوا تحت ولاية الميت عند وفاتهِ . ولا فرق بين ان يكونوا طبيعيين او متبنين او مسلمين للمجلس البلدي[٢] (هذا شبيه بما يسميهِ المصريون المجلس الحسبي)

(٣) الورثة يصيرون حقيقيين ولو لم يعلموا

(٤ و ٥ و ٦) متى وُجد ابن او ابنةٌ مع ابن ابن . او ابنة ابن نازلين من أبٍ آخر فكلهم يشتركون في ميراث الجد . واقربهم لا يحجب ابعدهم ومن الموافق كما يظهر ان تقسم التركة من الجد الجامع[٣]

(٧ و ٨) متى أُريد معرفة ايٍّ يكون الوارث الحقيقي وجب البحث عن الوقت الذي توفي فيهِ المورث من دون وصيةٍ . هذا ما ينبغي عملهُ لعدم وجود الوصية . وذلك بشرط ان يكون جنيناً في حياة جدهِ . فالحفيد يضحي وارثاً متى توفي ابوهُ ثم مات جدهُ ولم يوصِ

---

(١) المراد بالالواح الاثني عشر مجموع الشرائع التي انتشرت في رومة بأمر الحكام العشرة ونقشت في الواح نحاس

(٢) في الفقه الاسلامي " المجمع على توريثهم من الذكور فرضاً او تعصيباً او بهما عشرة الابن . وابن الابن وان سفل بمحض الذكور . والاب . والجدّ ابو الاب وان علا بمحض الذكور . والأخ مطلقاً . وابن الأخ الشقيق او لأبٍ وان سفل بمحض الذكور . والعمّ الشقيق او لابنٍ . وابن العمّ وان سفل . والزوج . ومولى النعمة اي المعتق

والاناث المجمع على توريثهنّ سبع . البنت . و بنت الابن وان سفلت بمحض الذكور . والامّ . والجدّة لامّ ولأبٍ وان علت ما لم تدلِ بجدٍّ فاسدٍ . والأخت مطلقاً . والزوجة . ومولاة النعمة اي المعتقة " (شرح القدوري) ببعض حذفٍ

(٣) هذا مغاير بالمرَّة لما ورد في علم الفرائض الاسلامية فان الاقرب يحجب الأبعد بلا خلافٍ . واعلم ان الحجب حجبان . حجب نقصانٍ وذلك مثل حجب الولد الزوجة ففرضها مع عدم الولد او ولد الابن الربع من تركة الزوج وفرضها معهُ الثمن . وحجب حرمان وذلك كسقوط الجدّ والاخوة والاخوات مطلقاً بالأب فاذا مات عن جدٍّ وابٍ واخوة واخوات فتركتهُ كلها للأب ولا شيء منها البقية لان الاب حجبهم جميعاً حجب حرمان

(٩) المأذونون من الاولاد ليس لهم من حق في تركة والدهم بحسب الشرع المدني لكن القاضي المتصرف بمقتضى المساواة الطبيعية يجيز لهم وضع اليد كما لو كانوا تحت ولاية الاب حال موتهِ

(١٠) الاولاد الذين يأذن لهم ابوهم · والاولاد الذين يسلمون انفسهم للتبني لا يقبلون كأولادٍ في تقسيم املاك الأب الطبيعي ان كانوا وقت وفاتهِ في العائلة المتبنية · واما الاولاد المأذونون من الأب المتبني بعد موت الاب الطبيعي فيبقون ابدًا اجانب عن املاك الاب المتبني · واملاك الاب الطبيعي فلا يصيبهم منها زيادة على حقوق الاولاد

(١١) حقُّ المتبنين اذن اقلُّ من حق الطبيعيين

(١٢ و ١٣ و ١٤) قد جرى تعديل هذه الشروط بأسرها . فقد قرَّرنا انهُ متى كان الاب الطبيعي قد سلَّم ابنهُ للتبني تبق حقوق هذا الابن محفوظةً كأَنهُ باقٍ ابدًا تحت ولاية أبيهِ الطبيعي كما لو لم يقع التبني لانهُ لا يمكن أن يتوصل الى تركة الاب المتبني الاَّ في حالة واحدة وهي ان يموت غير موصٍ . لكن اذا الاب المتبني عمل وصيةً فلا يحق للمتبني بمقتضى الشرع المَدَني ولا بمقتضى الشرع القضائي ان يحوز شيئًا من تركة المتبني ويستثنى من ذلك من تبنَّاهُ ابوهُ الطبيعي

(١٥) ان الشرع القديم ايضًا كان يورث الاحفاد والحفيدات النازلين من الذكور كأَنهم وَرَثة حقيقيون . والعاهلون قد جعلوا في هذا المقام وفي هذه الدرجة من الوراثة النازلين سواء كانوا نازلين من الذكور او من الاناث لكن مع هذا الاختلاف وهو أن يُعطوا ثلثي ما تستحق امهم او جدَّتهم او ابوهم او جدُّهم صحيحًا او فاسدًا · وذلك حين تقسم تركة المرأة بعد وفاتها

(١٦) اما نحن فقد قرَّرنا انهُ متى وُجد مثل هؤُلاء الاحفاد او اولاد الاحفاد وهلمَّ جرًّا فلا حظَّ للعصبة من ميراث المتوفى وذلك حتى لا يُفضَّل النازلون بخطٍ مستقيم · وكما ان الشرع القديم كان قد حكم ان يُقسَّم الميراث بين الاولاد والاحفاد النازلين من ابن آخر لا على عدد الرؤُوس بل من الجد الجامع كذلك نحن قد أَمرنا ايضًا ان يتَّبع هذا النوع من التقسيم بين الاولاد والاحفاد النازلين من بنتٍ او بين جميع الاحفاد والحفيدات وبين اولاد الاحفاد وبنات الحفيدات وهلمَّ جرًّا بحيث ان كلَّ فرع يحرز نصيب الام او الاب ونصيب الجدَّة او الجدّ دون اقلّ نقصان

الفصل الثاني في وراثة العصبات الشرعية

متى لم يوجد وارث ولا شخص ممن القاضي او القوانين يحصونهم في عداد الورثة لاحراز التركة تعين الارث لاقرب العصبات (١)

(١) ان الشريعة تُعطي التركة من هو من العصبات اقرب الى الميت متى ثبت ان المتوفى مات ولم يوصِ

(٢) حق القرابة العصبية يتقرر بالتبني فيما بين الاولاد الطبيعيين ومن تبنَّاهم ابوهم

(٣) ان الميراث بحق القرابة العصبية (٢) بين الذكور ينتقل حتى الى الابعد. وأما النساء فكان قد تقرر انهنّ لايحرزن الميراث بقوة حقهن من القرابة الابوية العصبية الاَّ بانفسهنّ ومتى كنّ اخواتٍ . لكن ليس ذلك وهنّ في ابعد درجة من الميت فالذكور يحرزون تركة النساء (ولو كانوا في الدرجة القصوى) وأما نحن فقد قرَّرنا ان كل النازلين من الذكور يكونون بلا تفريق حائزين حقوق الوراثة الشرعية لمن توفي ولم يوصِ بحسب قرب درجتهم منهُ

(٤) ينبغي ايضاً ان نقرر ان الأَقارب الذين تجمعهم درجة واحدة ينتقلون من طبقة ذوي الارحام الى الوراثة الشرعيَّة

(٥) متى تعدد العصبات وكانوا مختلفي الدرجات فالشريعة تورث الاقرب (٣) وان تعدَّدوا واستوت درجة قرابتهم فكلهم يرثون

(٦) يُعدّ اقرب درجةً من كان كذلك عند وفاة الميت هذا فيما اذا توفي صاحب التركة ولم يوصِ ولكن اذا مات وقد أوصى فيعد الاقرب من كان اقرب الناس الى الميت يوم ثبت انهُ لم يوجد وارث ما بالوصيَّة

(٧) كان يراد منع انتقال الارث في مثل هذه التركات . واما نحن فقد قرَّرنا جواز انتقال الارث في العصبات

---

(١) قد جاء في كتب الفرائض ان " اقرب العصابات الى الميت البنون ثم بنوهم وان سفلوا بمحض الذكور ثم اصلهُ وهو الاب ثم الجدّ وان علا بمحض الذكور ثم بنو الاب وهم الاخوة لأ بوين او لأ بٍ عند عدم وجود الاخوة لأ بوين ثم بنوهم وان سفلوا بمحض الذكور ثم بنو الجدّ وهم الاعمام لأ بوين او لأ ب عند عدم الاعمام لأ بوين ثم بنوهم كذلك وان سفلوا بمحض الذكور . ثم بنو أب الجدّ وهم اعمام أب الميت لأ بوين او لأ ب ثم بنوهم كذلك وان سفلوا "

(٢) الارث في الشريعة الاسلامية بالفرض واما بالتعصيب اما الاوَّل فكارث الزوجة من تركة زوجها واما الثاني فكارث الابن تركة ابيه

(٣) هذا موافق لما في علم الفرائض حيث قالوا و يقدَّم الاقرب فالاقرب

(٨) كذلك يجوز الوراثة الشرعيَّة الأَصلُ الذي يأذن ابنهُ او ابنتهُ وهلم جرًّا لكنما تلك الوراثة على سبيل الاستيداع ليس الاَّ

الفصل الثالث في مرسوم ترتوليانوس

ان شريعة الالواح الاثني عشر قد وضعت في الدرجة الاولى ذريَّة الذكور

(١) ان العاهل قلوديوس (١) تخفيفاً لرزء الام في اولادها نقل اليها حقَّ ميراثهم الشرعيّ . قد جاء في مرسوم ترتوليانوس بعد ذلك ان الحرَّ متى أَخذ حقَّهُ من عدد ثلاثة اولاد . واخذهُ المحرَّر من عدد اربعة اولاد يكون لهُ الحقّ في املاك بنيهِ او بناتهِ الذين ماتوا وهم تحت ولاية الاب ولم يوصوا

(٣) قد آثروا على الامّ أَولاد المتوفى او المعدودين كأَولادهِ سواءٌ كانوا في الدرجة الاولى أَم في درجة أَبعد

(٤) اما نحن فقد منحنا الامهات حقًّا تاماً في الوراثة الشرعيَّة (سواءٌ كنَّ حرائر ام محررات) وذلك ان لم يكنَّ قد ولدنَ ثلاثة أَولادٍ او اربعةً

(٥) قد ظهر لنا مناسباً ان نفضل الامَّ على سائر الاشخاص الشرعيين ونجعل لها الوراثة بدون اسقاط شيءٍ ما اللهم ان لم يكن لمنفعة اخٍ او اخت سواءٌ كان من جهة الاب او كان من ذوي الارحام فقط . وذلك اذا لم يكن الاَّ أَخوات لأَبوين او لاب او ذوات ارحام آتيات مع ام المتوفى او المتوفاة . ففي مثل هذه الصورة نصف التركة للامّ والنصف الآخر لكل الأَخوات . واذا مات عن امّ وأَخٍ اوعدَّة اخوة وحدهم او معهم أَخوات وكانت الامّ آتية بحقوق شرعيَّة زاحمت (٢) في ميراث المتوفى او المتوفاة اللذين لم يوصيا فتقسم التركة بينهم على عدد الرؤُوس

الفصل الرابع في مرسوم أُورفيتيانوس

الأَولاد يرثون اموال الأُمهات المتوفيات غير موصيات بحسب مرسوم أُورفيتيانوس ويُفضَّلون (٣) على العصبات وعلى عصبات الام المتوفات

(١و٢و٣) ان هذا الحق ايضاً للاولاد المولودين من ابٍ غير معيَّن

(١) عاهل رومانيّ تولى من سنة ٢٦٨ الى سنة ٢٧٠ كان ذا رأْي وحكمة في قيادة الجيوش . مات في الطاعون وخلفهُ أُورليانوس

(٢) هذه المزاحمة بمثابة حجب النقصان كما ذكرنا في تعليقة سابقةٍ

(٣) هذا التفضيل هو في عرف الفرضيين حجب الحرمان

الفصل الخامس في وراثة ذوي الارحام

ان لم يكن ورّاث حقيقيون ولا وُرّاث شرعيون فالقاضي يورّث اقرب ذوي الارحام الى الميت

(١) انما يعتبرون في هذا الشان القرابة الطبيعية

(٢و٣) ان الاولاد الذين هم في عائلةٍ متبنّاة يرثون بحسب هذا القانون نفسهِ تركة ابيهم الطبيعي

(٤) من الواضح ان لا عصبة للاولاد المجهولي الاباء

(٥) يجب التنبيه انهُ نظرًا الى ذوي الارحام يُسهَم للقريب في التركة ولو في الدرجة العاشرة . والقاضي يتعهد بوضع اليد على الاملاك بعلّة القرابة حتى الى الدرجة السادسة من قرابة المصاهرة

الفصل السادس في درجات ذوي الارحام

نقول ان القرابة النسبية تنقسم الى صاعدة ونازلة ومنحرفة فالصاعدة قرابة الاب والام . والنازلة قرابة الاولاد والمنحرفة قرابة الاخوة والاخوات او قرابة من وُلدوا من هؤلاء او من أُولئك . فالصاعدة والنازلة تبتدئان من الدرجة الاولى . والمنحرفة تُعتبر من الدرجة الثانية

(١و٢و٣و٤و٥و٦و٧) كل شخص مولود يضيف دائمًا درجةً جديدة

(٨) درجات القرابة العصبية تجري على هذا القياس نفسهِ

الفصل السابع في المصاهرة المنعقدة في العبودية

قد أَجزنا بقانوننا الامر الآتي . وهو من كان لهُ وهو في حال العبودية ولدٌ او اولادٌ من حرّةٍ او أَمةٍ او بالعكس اذا كان لأَمةٍ اولادٌ من حرٍّ او عبدٍ ففي هذه الحال اذا تحرّر الاب والام فاذا كان الاولاد قد ولدوا من أَمةٍ يصيرون احرارًا . واذا كانوا قد ولدوا من أُمٍّ حرّةٍ وأَبٍ عبد فالاب يتحرر فيما بعد وكل هؤلاء الاولاد يخلفون الاب أَو الام . وحيث يزول حق الولاء في هذه الحال نحن نجعل لهم الوراثة المتبادلة بان يكون بعضهم وارثًا لبعض كلما تكلمنا اما في التفضيل لمن هو اقرب درجةً في قرابة المصاهرة . واما في مزاحمة ذوي الارحام نفترض انهُ لا يوجد وارث حقيقيٌّ . ولا من يُعد كوارث . ولا من لا بدَّ من تفضيلهِ بحق المصاهرة الاَّ الاخ والاخت المأذونان اللذان ينزلان منزلة الاخوة والاخوات ويفضلان على العصبة من درجةٍ أَبعد

الفصل الثامن في وراثة المعتقين

قديماً كان للمعتَق ان يغفل بلا حرجٍ اسم مولاهُ في كتاب وصيتهِ

(١) ان مرسوم القاضي قد ازال هذا الظلم اذ أمر بان المعتق يترك نصف املاكهِ لمولاهُ . فان لم يترك لهُ شيئاً . او كان قد ترك لهُ اقلّ من النصف فنصف التركة يُسلَّم للمولى خلافاً لالواح الوصية[١]

قد قرر مؤَخرًا انهُ متى كانت تركة المعتَق مائة الف سسترس[٢] وورثتهُ اقل من ثلاثة اولاد وجب للمولى سهم رجلي

(٣) مع ذلك قد قرَّر قانوننا بوجهٍ باتٍّ ما يأتي . وهو متى ترك المعتق او المعتقة اقلَّ من مائة ريال[٣] ذهب فليس للمولى حق في تركتهما ان اوصيا . واما اذا كان الامر على الضدِّ من ذلك بان ماتا ولم يوصيا ولم يخلفا ولدًا فحقُّ المولى والحال هذه يحفظ بتمامهِ . ومتى تركا اكثر من مائة ريال ذهب فان كان لهما اولاد كورَثة او اصحاب املاك جعلنا تركتهما لهؤُلاء الاولاد . وان كان الامر على الضدّ من ذلك اي اذا ماتا وليس لهما اولادٌ فان لم يوصيا جعلنا التركة كلها بين الموالي والموْلَيات . وان أوصيا ولم يذكر في كتاب الوصيَّة مواليهم ولا مولياتهم فللموالي ثلث املاك المعتق وان كانوا قد اخذوا ما دون الثلث فيجب ان يُعطوا تتمة الثلث ولايجوز ان يسقط من هذه الحصَّة شيءٌ بعلة الرسوم ولا ان يؤخذ منها شيءٌ ليدفع رسماً عن الموصى بهِ او الوديعة الراجعين الى اولاد المعتق او المعتقة اذ ان هذه الكلف تقع على شركاء الموالي في الميراث[٤]

الفصل التاسع في استحضار المعتق لدى القاضي

لابدَّ لنا ان ننبه انهُ يؤذن للاب ان يستحضر معتقهُ لدى القاضي لأَحد بنيهِ ليجعل هذا الابن مولى ذلك المعتق

(١و٢و٣) لا فرق بين ان يكون هذا بكتاب وصيَّةٍ او بدونهِ

(ستأْتي البقية)

---

(١) لاذكر لشيء من هذا الحكم في الفرائض الاسلامية بتةً

(٢) نقد رومانيّ يساوي ٢١ سنتيماً

(٣) نقد رومانيّ قيمتهُ خمسة فرنكات او ربع ليرة فرنسوية

(٤) قال صاحب الدرّ المختار " المعتق مقدَّم على الردّ وعلى ذوي الارحام مؤَخر عن العصبة النسبية فان مات المولى ثم المعتق ولا وارث لهُ نسبيّ فميراثهُ لأَقرب عصبة المولى المذكور "

القوة في الشيخوخة

تابع ما قبلهُ

طور اليأس في المرأة

ما تقدم الكلام عليهِ يشمل الرجل والمرأة على السواء ولكن المرأة تنفرد بأمر واحد وهو انهُ يمرُّ عليها طور من اطوار الحياة في اواسط عمرها يسمى بسن اليأس ويظنُّ انهُ محفوف بالمكاره والاخطار وهو ظنٌّ مبالغ فيهِ كلَّ المبالغة . فان الرجل يبلغ غاية النموّ العقلي والبدني في الحادية والاربعين من عمرهِ والمرأة في التاسعة والثلاثين على وجه التغليب ويتلو ذلك سبع سنوات او عشر يصحُّ تسميتها بطور القوة فان انسجة الجسم تكون فيهِ ثابتة وتغذيتهُ على احسنها وهو احد اطوار النمو ويرافق بعوارض خصوصية . واطوار النمو في الرجل ثلاثة وهي طور التسنين وطور البلوغ وطور الانحلال . ويزاد في المرأة عليها طور انقطاع الحيض او ما يسمى عادة بطور اليأس وهو زمان تراقبهُ المرأة بعين الخشية لانها تنتظر فيهِ بلايا واضطرابات مختلفة فاذا كانت عزباء استيقظت بغتة كما من رقاد طويل وتولاها فكر ان زمن الشباب فات . واذا كانت متزوجة تمكن منها اليأس والخيبة بعد طول التعلل بالآمال وكثيرًا ما يؤَثر ذلك في صحتها . وخلاصة القول انهُ اذا اهتمت المرأة عزباء كانت او متزوجة بالمحافظة على قواها البدنية والعقلية وجعلت تنظر الى امور هذه الدنيا بعين قريرة ووجه باسم وتناست كلَّ ما يولد السوداء والكآبة فيها فلا تخش بأسًا وشمس الحياة تؤْذن بالافول

***

تدلُّنا مراجعة العلامات التي تميز الكهول والشيوخ كما تقدم معنا على الطرق التي يمكن اتباعها لتأخير سير تلك العلامات على قدر المستطاع . ولا ينتظر ان يتعاون عدد كبير من الناس على اتباع تلك الطرق ولو تعاونوا لنشأَ عن ذلك فوائد جمة لهم . وجهد ما يمكن في هذا الصدد الارشاد الى بعض النصائح عسى ان ينتصح بها الذين يهمهم خير انفسهم

يقول الذين درسوا هذا الموضوع حقَّ الدرس ان الرياضة البدنية مفيدة لا مضرة كما يزعم البعض لانهُ اذا لم يتروض الجسم دبَّ الانحلال سريعًا في انسجتهِ المختلفة . واما من جهة الاكل فالمتفق عليهِ ان الطعام الذي يتناولهُ من جاز سن الكهولة يجب ان يكون اقلَّ مما كان يتناولهُ قبل ذلك السن وان يغير نوعهُ فيقلل من تناول المواد التي تتكون انسجة الجسم منها وان يقلل ما امكن من اكل المواد المهيجة التي تتناول عادة لتهييج القابلية

لا لانها ضرورية . ولتكن القاعدة ان لا يأكل الانسان اكثر مما تتطلبهُ قابليتهُ وهي في حالها الطبيعية وان يقتر على نفسهِ في تناول المواد التي انما تؤكل للذة في طعمها ومتى بلغ الانسان سن الشيخوخة اي سن السبعين او نحوهِ فليكن طعامهُ بسيطاً جدًّا وليأكلهُ بتأنٍ كثير . والقاعدة العمومية هي انهُ كلما كان طعام الشيخ بسيطاً بحيث لا يتعدى الخبز واللبن والاثمار طال عمرهُ متمتعاً بالصحة والعافية . ولا ينكر ان لهذه القاعدة شذوذاً فاذا طرأ على صحة الشيخ طارئ افقدهُ قوتهُ فلا بأس من زيادة الوان طعامهِ ومقدار ما يتناولهُ منها حتى تعود اليهِ قوتهُ الطبيعية

ومن الشيوخ من يلائمهُ اطالة الفترة بين طعام وطعام . ومنهم من يلائمهُ تناول كميات قليلة في فترات قصيرة . ولما كانت امعاؤهم ميّالة الى القبض فلا يهيجوها بتجرع المسهلات بل بالوسائل الطبيعية مثل اكل الاطعمة الملينة التي لا تولّد عفونة واختماراً في الامعاء . وهذه الاطعمة هي الاثمار والحبوب والخُضَر التي تستعمل للسلطة واحسن شراب لهم اللبن فانهُ نافع للامعاء والكلى . والذرة احسن الحبوب لعمل الخبز منها وطبخها باللبن . والخبز الكثير الاختمار مضرٌّ فانهُ يزعج الهضم ويزيد توتُّر العضلات . واما اللحم فيختلف امرهُ باختلاف الامزجة والعادات ولكن الحاجة اليهِ قليلة بل انهُ لا حاجة اليهِ البتة عادة . اما السوائل فلا بأس ان يكثر الشيخ من شربها ولكن اذا كان قلبهُ ضعيفاً فلا يستصوب شربها قبل ترويض الجسم لانها تضغط ناحية القلب وتعرضهُ للخطر

ومن اهم الامور للشيوخ الاعتناء بالجلد وفركهُ بفرشاة من قمة الرأس الى اخمص القدم فركاً جيداً مطرداً . ولما كانت بشرة الشيوخ جافة يابسة فيحسن ان تدهن بنوع من انواع الزيت بعد فركها كما تقدَّم . وربما كان زيت الزيتون او دهن جوز الهند خير دهان لذلك ولا يفوقهما الاَّ مستحضرات تحتوي على اللانولين لاسيما اذا أُريد زيادة ثقل الجسم وسمنهِ . وقد يستعمل زيت البترول لهذه الغاية ايضاً اذا أُريد تهييج سطح الجلد

والشيوخ شديدو الشعور بالبرد لان قوة الجلد على المقاومة خفَّت فيهم وكذلك قوة توليد الحرارة ولذلك تراهم ميالين الى الجلوس في منازلهم وتثقيل ملابسهم حتى لا تتعرض ابدانهم للبرد وهذا خطأٌ كبير وعادة يجب ان يقلعوا عنها رويداً ويقيموا في الخلاء على قدر ما يستطيعون . ويجب ان تكون ملابسهم التحتانية خفيفة ذات مسامّ ويفضل الكتان على غيرهِ وان يلبسوا فوقها قمصاناً من الصوف طبقاً لحرارة الهواء . والخروج من المنازل ضروري لاتمام التأكسد بواسطة الرئتين والجلد . والشعور بالبرد بعد الرياضة اكثر حدوثاً اذا كان الجسم مثقلاً باللباس

التحتاني مما لو لم يكن مثقلاً بهِ وعواقب الاول اوخم من عواقب الثاني بكثير . واذا تبللت الثياب التحتانية بعد الرياضة يجب تغييرها حالاً وكذلك يجب تغيير الجوارب مرارًا لتهوية الاقدام

واهمُّ ما يجب الالتفات اليهِ لتأخير الانحلال المرافق لكبر السنّ ولاستعادة كثير من النشاط الطبيعي اشكال الرياضة وصفاتها . فقد أبنت فيما سبق انهُ كلما تقدم الانسان في السن اخذت انسجة الجسم تتصلب وتفقد مرونتها كالحبل الشوكي واربطة المفاصل والجلد واغلفة العضلات ونسيج الاوعية الدموية . واشدُّ خطرًا من ذلك كلهِ تصلُّب الاعضاء الموكلة بتغذية الجسم والحواس الخاصة (الحواس الخمس) وهذا ما لم يُشر اليهِ احد قبلي على ما اعلم . ولبيان ذلك اقول انهُ كلما تقدم الانسان في السنّ اخذت وظائف الحواس الخاصة تفقد حيويتها فيظلم البصر وينبو السمع ويبلد الذهن ويفتر الطبع . وكثير من ذلك لا بدَّ منهُ وبعضهُ يمكن تأخيرهُ حتى الموت . فان الانسجة التي حول رقبة الشيخ مثلاً تفقد كثيرًا من مرونتها حتى تتصلّب رقبتهُ وخصوصاً عند نقرتهِ وقد ظهر لي ان تحريك الرقبة وما حولها من العضلات بالتمرين افضى الى تحسن السمع والبصر وعمل الدماغ وسير الدورة الدموية فيهِ مدة النوم . وجربت ذلك في كثيرين من الذين اصيبوا بضعف في الحواس المذكورة فصلحت حالهم وتحسنت تحسناً ظاهرًا

وما يصحُّ في هذه الحواس يصحُّ في الجهاز الهضمي ايضاً . فان كثيرًا من الامراض التي تعتري اعضاء الهضم حتى في اواخر الشباب ناشئ عن ارتخاء الانسجة التي تدعمها . فقد قدَّروا ان ٦٠ في المئة من البالغين مصابون بتمدد المعدة وارتخائها وكثيرًا ما لا يرافق ذلك اعراض تدلُّ عليهِ ولكن اذا كان هناك اعراض فان سببها فقد المعدة لبعض قوتها العضلية . واذا كانت جدران البطن ضعيفة مالت اعضاء الهضم الى الارتخاء والهبوط . فتتغير بذلك نسبة الاعضاء بعضها الى بعض وخصوصاً الاوعية الدموية والانسجة التي لها علاقة بوظيفتها فان الكليتين اللتين تسندها الاوعية الدموية الداخلة اليهما والخارجة منهما كثيرًا ما تنفتل الانسجة التي تتعلقان بها فينقطع بذلك مرور فضول الجسم ويتعطل عمل الاعصاب الى حد ان يحدث عن ذلك الم وتتعطل وظيفتهما . والمرأة التي حبلت وولدت الاولاد تتمدد جدران بطنها كثيرًا او قليلاً فيفضي ذلك الى ضررها ويحدث مثل ذلك في الرجل ايضاً اما المرأة فتلجأ الى لبس المشدّ على انواعهِ المختلفة تخلصاً من الضرر . ولما كان المشد شائع الاستعمال كثيرًا فاننا مكرهون على قبولهِ بحكم الضرورة وان كنت اعتقد ان الاستغناء عنهُ ممكن لو سلَّم النساءُ معي

بذلك ولكن الامر المهم اقناع النساء بلبس المشدات التي هي اقل ضرراً من غيرها فاذا ارتخت جدران البطن كثيراً وجب دعمها بالمشد الى ان تعود تصلح للعمل الذي وجدت لهُ . ومن الاوليات في الطب ان غاية الدعائم الاصطناعية معاونة الاعضاء على اتمام وظيفتها حتى تعاد انسجتها الى حالها الطبيعية . واول ما يجب عملهُ لتلافي هذا الخلل ان يعوَّد الشخص المصاب بارتخاء البطن الوقوف منتصباً والجلوس منتصباً على كل حال . فاذا كانت عظام العنق عمودية والاضلاع مرتفعة اتصل الضغط الى جدران البطن فحفظت المعدة والامعاء ضمن حدود الجذع

والذين يقفون ويجلسون منتصبين اقوى بنية من غيرهم . نعم ان كثيرين من الذين يحنون ظهورهم عند الوقوف والجلوس صحيحو البنية سليمون من المرض ولكنهم ليسوا كما يجب ان يكونوا وهم معرضون لخطر ابتعاد اجهزتهم الهضمية عن حماية الجهاز العصبي المركزي بخروجها عن حدودها . اما اعضاء الصدر فان اخطارها اقلُّ من اخطار اعضاء البطن لانَّ لها من الاضلاع حاجزاً حصيناً يقيها الضرر ولكنَّ الرجل الذي ينحني الى الامام بحيث تهبط كتفاهُ وتبرزان وتدخل اضلاعهُ في صدرهِ نحو العمود الفقري يقصر قطر صدرهِ المرسوم من الامام الى الوراء عقدتين الى خمس عقد ولا حاجة الى بيان ان الرئتين والقلب والاوعية الدموية الكبيرة وغيرها من الاعضاء الرئيسة التي في الصدر لا تعيش ولا يصلح عملها في احوال مثل هذه . وزد على ما تقدم ان تدارك هذه الاحوال في حينهِ يحسن الصحة العمومية ويحفظ نظام وظائف الجسم ويؤخر علائم الشيخوخة

ولا بدَّ لي من كلمة اقولها في قلوب الشيوخ . فمن المشهور ان الشيوخ لا يصلحون للعمل الشاق والسعي وانهُ يجب عليهم ان يعملوا قليلاً او ان لا يعملوا شيئاً بل يبقوا كالاخشاب المسندة لانهم لا يجدون من انفسهم ميلاً الى العمل . وعندي ان عدم ميلهم الى العمل ناشئ عن قلة التأكسد لا عن دافع غريزي يدفعهم الى الضنّ بالبقية الباقية من القوى المذخورة فيهم . ومن المشاهد ان الشيوخ النشيطين هم احسن صحة وادمث خلقاً من غيرهم . فقد عالجت كثيرين من الذين ظهرت عليهم اعراض تغيرات في الدماغ مثل الدوار وضعف الذاكرة واضطراب السمع والبصر وفقد الوجدان مدة قصيرة وقد بلغوا السبعين من العمر او اكثر . والعلاج الذي يوصف لهم عادة ان ينقطعوا عن كل حركة ويأووا الى منازل دافئة اما انا فعالجتهم بفرك الجلد ودهنهِ بالزيت ودلكهِ والرياضة البدنية على نحو ما اشرت اليهِ آنفاً واخيراً اشرت عليهم بالسكن في الخلاء ومداومة الحركة . وبعضهم جاوز حدَّ الثمانين ولا يزال قوي

الجسم حسن الصحة

هذا وان ما يصيب الشيوخ من الاعياء بعد اجهاد القوى لا يمكن ازالتهُ منهم تماماً وعليهِ فلا يجوز ان يطيلوا العمل الشاق بل يجب ان يستريحوا فترة بعد اخرى واذا كانت قلوبهم ضعيفة يجب ان يستلقوا عند طلب الراحة. ثم انهُ يجب عليهم ان يمتنعوا عن اجهاد العضلات برفع الاثقال او ما شاكل من طرق الرياضة لان عظامهم تصغر حجماً فتخفُّ ثقلاً وترقُّ جدرانها من الداخل وخصوصاً عند اطرافها فيسهل انكسارها ويجب ان تكون رياضتهم بطيئة خفيفة

اما استعمال العقاقير والادوية فقلما يخفف اوصاب الشيخوخة الاَّ ان شرب المياه المعدنية امرٌ لجأ الناس اليهِ منذ قديم الزمان فافاد فائدة لا تنكر. وقد ثبت من التجارب الحديثة فائدة معالجة تصلُّب الشرايين بحقن الجسم ببعض الاملاح مثل فوصفات الصودا وفوصفات المغنيسيا فتحلل فوصفات الكلس الذي يسبب تصلُّب الشارين فادى ذلك الى نتائج حسنة واشار بعض الاطباء بشرب الاملاح المذكورة فلم تقل فائدة ذلك عن فائدة الحقن بها

ومما يجب على الشيوخ اعتيادهُ التنفس الطويل زفيراً وشهيقاً اذ تضغط عضلات البطن بذلك الاحشاء وخصوصاً الكبد والاعضاء الكبيرة فتساعد على الافراز والابراز. وهذه الواسطة تكفي وحدها احياناً كثيرة لتنظيم عمل الامعاء والكليتين

البوارج والطرابيد

لما استنبط الطربيد وثبت فعلهُ الذريع اوجس الناس منهُ شرًّا وقالوا انهُ سيكون القضاء المبرم على البوارج وسائر السفن الحربية. ولم تنشب حرب بحرية كبيرة بعد ذلك الاَّ الحرب الاميركية الاسبانية لكن لم يلجإِ الاسبانيون ولا الاميركيون الى نسف البوارج بالطرابيد واللغوم ولا ظهر للغم والطربيد فعل يذكر الاَّ في هذه الحرب الناشبة الآن بين الروس واليابان فقد اتضح منها جليًّا ان اللغم قد ينسف اكبر البوارج ويوردها حتفها في لحظة من الزمان وان الطربيد يثغرها فيعطلها او يغرقها في دقائق قليلة. وثمن البارجة مليون جنيه الى مليون ونصف وقد يغرقها اللغم او الطربيد هي ورجالها ولا يقلُّ عددهم عن سبع مئة الى تسع مئة نفس واما اللغم والطربيد فلا يزيد ثمن الواحد منهما على مئات من الجنيهات

لما اتضحت هذه الحقيقة وقفت الدول صاحبة البوارج الكبيرة حيرى في امرها تضرب

اخماساً لاسداس وهي مترددة في اتباع خطتها من بناء السفن الحربية او الانتظار الى ان يُكشَف سبيل لوقايتها من اللغوم والطرابيد . والظاهر ان الاميركيين عزموا ان يكفُّوا عن بناء البوارج الآن الى ان يروا ما يكون من امر هذه الحرب

قلنا ان ثمن البارجة من مليون الى مليون ونصف من الجنيهات يكون فيها من الضباط والبحارة من ٧٠٠ الى ٩٠٠ نفس لكن هذا المبلغ من المال وهذا العدد من الرجال ليس كل ما يفقد بها بل ان نفقتها كبيرة في الحرب وفي السلم ايضاً فان مدافعها كثيرة وقنابلها ثمينة ولا بد من تمرين بحّارتها على اطلاقها في زمن السلم . واذا نشبت الحرب اضطرت ان تطلق مئات من القنابل قبلما تصيب العدو بواحدة منها . ولكبر جسمها وثقلهِ لا تجري ولا تسرع ما لم يوقد فيها الوف من قناطير الفحم الحجري ولذلك لا يستغرب انفاق الدول البحرية عشرة ملايين من الجنيهات او عشرين مليونًا او ثلاثين مليونًا على سفنها الحربية وبحّارتها كل سنة لان بوارجها وطرّاداتها كثيرة النفقة فاذا مرَّ على بارجة خمس سنوات فتكون قد بلغت نفقات بنائها وتسليحها وتعليم رجالها وتمرينهم نحو ثلاثة ملايين ونصف من الجنيهات فتمحق كلها في لحظة من الزمان يمحقها طربيد لا تبلغ نفقتهُ ٣٥٠ جنيهاً اي ان الجنيه الواحد يتلف عشرة آلاف جنيه في لحظة من الزمان

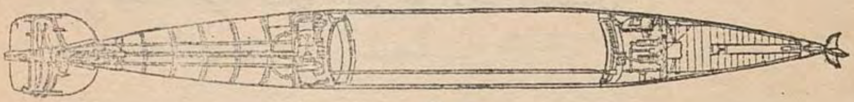

واشهر انواع الطرابيد طربيد هويتهد المرسوم في هذا الشكل وهو يسير الآن بقوة الهواء المنضغط الذي فيهِ بسرعة نصف ميل في الدقيقة فانهُ يدير اللولب الذي في مؤخرهِ فيسير بهِ بهذه السرعة الفائقة ثم تقل السرعة رويداً رويداً بقلة الهواء المنضغط حتى اذا وصل الى جنب البارجة ولطم رأسهُ بها اشتعل ذخيرهُ فانفجر ما فيهِ من قطن البارود وفعل فعلهُ الذريع . ولقد بلغ هذا الطربيد حد الكمال المطلوب من حيث السرعة وشدّة الفعل ولكنهُ اذا لم يسدَّد الى الغرض تسديدًا محكماً جدًّا او اذا مال الغرض من وجههِ قبل وصولهِ اليهِ او اذا القت البارجة حولها شبكة من الزرد كما تفعل البوارج الانكليزية او اذا كان في آلتهِ او سطح انبوبهِ اقل خلل او تجعد فلا فائدة منهُ بل يكون منهُ ضرر على السفينة التي تطلقهُ لانهُ قد يسير في دائرة فيعود اليها وينفجر تحتها فينسفها نسفاً ولذلك بلغ من اعتنائهم بالطرابيد ان صاروا يمتحنون سيرها مرة كل شهر ويزنون ما فيها من قطن البارود ويمتحنونهُ مرة كل سنة ويمتحنون مكان الهواء

المنضغط مرة كل ثلاث سنوات . ويلحقون كل طربيد بخريطة يكتبون فيها تاريخهُ من حين نشأتهِ . ومع ذلك بقي معرَّضاً للخطاء وللاضرار بمطلقيهِ كما تقدم فضلاً عن ان القوارب التي تطلقهُ تضطرُّ ان تدنو من البوارج جدًّا فتكون عرضة لقنابلها والقنبلة الصغيرة منها ترسل القارب ومن فيهِ الى اعماق البحر

ولما ثبت انهُ يسهل ارسال المجاري الكهربائية من مكان الى آخر من غير اسلاك معدنية جعل المخترعون يفكرون في استخدامها لتسديد الطرابيد وهي تحت الماء ويقال ان المستر ترتن ارمسترنج تمكن من ذلك فوضع في الطربيد آلة كهربائية تتأثر بمجاري مركوني ووضع على البر او في السفن آلة كهربائية ترسل منها الامواج الكهربائية الى الطربيد فتتحكم بحركتهِ ويكون في هذا الطربيد انبوب يندفع منهُ مجرى من الماء من وقت الى آخر فيستدلُّ مطلقهُ على موقعهِ ويوجه الامواج الكهربائية اليهِ واذا درى بهِ العدو وصبَّ عليهِ سيلاً من القنابل يغرقهُ قبل وصولهِ الى البارجة فالذي اطلقهُ يرى ذلك ويجعل الامواج الكهربائية تبعد بهِ عن موقف الخطر واذا رأى البارجة تحوَّطت لهُ والقت حولها شبكة الزرد حتى يشتبك بها ولا ينفجر جعلهُ يعود ثم يغور في الماء وينزل الى تحت اطراف الشبكة ويصل الى قاع البارجة الاسفل وينفجر هناك

ولقد دعا استنباط الطربيد الى استنباط اشياء كثيرة تقي منهُ او تقوي فعلهُ كالشباك المذكورة آنفاً وقاطعات الشباك التي تمزقها وتسهل على الطربيد الوصول الى البوارج وخاطفات الطربيد التي تسرع اكثر من قوارب الطربيد وتكسرها ومتلفات الطربيد التي قامت مقام الخاطفات لانها اخف منها واسرع وارخص . والآن قامت كهربائية مركوني التي ترشد الطربيد في سيرهِ حتى يصل الى الغرض المطلوب فاذا وفت بالمراد ولم يوجد سبيل يقاومها ويمنع فعلها فقد قضي على البوارج الكبيرة ولم تعد منها فائدة تذكر

الاَّ ان رجال البحرية لم يعترفوا حتى الآن بفائدة الكهربائية في تسديد الطربيد على ما يظهر فقد زرنا بالامس الاسطول الانكليزي الذي جاء مدينة الاسكندرية في اواخر الشهر الماضي ودخلنا السفينة فلكان التي هي مخزن الطرابيد وقواربها ورأينا قوارب الطربيد مصفوفة على ظهرها مستعدة للنزول في البحر عند اول اشارة وهي مجهزةٌ بكل ما يلزم لها ورأينا الانبوب الذي تدفع منهُ الطرابيد بالهواء المنضغط والطرابيد مصفوفة على جانبيهِ وشبكة الزرد معلقة بالسفينة ومطوية حولها يسهل نشرها في دقيقة من الزمان فتحول بينها وبين ما ترمى بهِ من الطرابيد . وسألنا ربان السفينة عن طربيد ارمسترنج وماينتظر منهُ فاظهر الريب فيهِ والاستخفاف

بهِ . وقد لايكون عالمًا بما وصل اليهِ هذا الطريد الآن لانهُ يقال ان الحكومة الانكليزية والحكومة الاميركية مهتمتان بامرهِ اشد الاهتمام. واخو الانسانية يفرح باتقان ادوات الهلاك لانها قد تضطر الناس اخيرًا الى ترك القتال

الماء في الطعام

من الاطعمة ما يُرَى الماء فيهِ كالمرق والعنب والبرتقال ومنهُ ما لا يرى فيهِ ماء جافًا كان كالخبز او طريًا كاللحم ولكن لا يخلو طعام من الماء مهما كان جامدًا فالخبز تراهُ جامدًا لا ماء فيهِ وتلمسهُ لا تشعر ان فيهِ نقطة ماء ولا سيما اذا كان جافًا يابسًا وهو في الحقيقة مشحون بالماء لا يقل الماء فيهِ عن ثلاثين في المئة وقد يبلغ اربعين في المئة او اكثر . والدقيق الذي يُصنع الخبز منهُ يكون فيهِ ١٧ في المئة من الماء . ففي كل مئة درهم دقيقًا ١٧ درهمًا ماء واذا عُجنت وخبزت بلغ وزن خبزها ١١٧ درهمًا الى ١٢٣ درهمًا فيزيد وزن الخبز على وزن الدقيق حتى ان الخباز الذي يأخذ منك رطلاً من الدقيق ويرد اليك رطلاً من الخبز يكون قد ربح منك اوقيتين او اكثر سواء عرفتَ ذلك او لم تعرفهُ . ومعلوم ان الماء في الخبز الجاف اقل منهُ في الخبز اللين وفي القشرة الظاهرة اقل منهُ في اللب الباطن . ويبقى الماء في الخبز من يوم الى آخر ولو جفَّ ويبس لانك اذا وضعتهُ على النار لان حالاً وظهر فيهِ بخار الماء ولكنهُ اذا حُمّص حينئذٍ زال اكثر الماء منهُ

واللحم كثير الماء لكن الماء في الدهن اقل منهُ في الهبر ولهذا تجد الهبر ثقيلاً لكثرة ما يحوي من الماء واما الدهن فيكون خفيفًا . ويختلف مقدار الماء في اللحم باختلاف نوعهِ وموضعهِ من الحيوان وكون الحيوان سمينًا او هزيلاً . ففي لحم الغنم عادة ٧٥ في المئة من الماء اي في كل رطل من لحم الغنم تسع اواقي من الماء وثلاث اواقي فقط من المادة اللحمية . وان كان الخروف حملاً سمينًا فالماء في لحمهِ اقل من ذلك يبلغ نحو ٦٤ في المئة واذا كان خنزيرًا سمينًا جدًّا فالماء فيهِ ٥٠ الى ٥٥ في المئة واذا قدّد وجفَّ لم يبق فيهِ الاَّ ٢٢ في المئة من الماء ولذلك يغلو ثمن اللحم المقدد اذا بيع بالوزن لان ثقلهُ يخفُّ بتقديدهِ . والماء في لحم الطيور من ٧٥ في المئة الى ٣٨ في المئة حسب نحافتها وسمنها ففي الحمام ٧٥ في المئة وفي الدجاج والبط وصغار الديوك الرومية ٧٠ في المئة وفي الاوز السمين ٣٨ في المئة . واذا زاد ثمن الطيور قل الماء في ابدانها مثل سائر الحيوانات

وفي البيض الجديد ٦٥ في المئة من الماء فاذا عتق تبخر بعض مائهِ فلم يعد مافي البيضة يملاها ولذلك يظهر جانب من البيضة العتيقة فارغاً اذا سُلقت لكن طعمها يفسد ولو قل ما فيها من الماء بالنسبة الى الغذاء

والزبدة لاتخلو من الماء ويبلغ مقدار الماء فيها من ٢٠ في المئة الى ١١ في المئة واذا أُحسن استخراجها لم يزد ماؤُها عن ١١ او ١٢ في المئة وما زاد على ذلك يترك فيها احتيالاً

واللبن كثير الماء كما لايخفى ولو لم يمزج بهِ غشًّا ويبلغ الماء فيهِ نحو ٨٧ في المئة ولبن المساء اقل ماءً من لبن الصباح فهو اكثر منهُ غذاءً

والسمك كثير الماء كاللحم واجوده اكثره ماءً ويختلف مقدار الماء فيهِ من ٧٨ في المئة الى ٤٠ في المئة حسب نوعهِ ومقدار الدهن فيهِ

والخضر والبقول كثيرة الماء جدًّا ففي الخيار والقثاء ٩٥ في المئة من الماء وفي الخس ٩٢ في المئة وفي اللفت ٩٠ في المئة وفي الكرنب ٧٨ في المئة وفي البطاطس ٧٤ في المئة

ويختلف مقدار الماء في الجبن حسب انواعهِ من ٢٠ في المئة فقط الى ٦٣ في المئة

والفاكهة كالخضر في كثرة الماء ففي التفاح ثمانون في المئة ماءً . والعنب يظهر اكثر مائيةً من التفاح لكن الماء فيهِ ليس اكثر منهُ في التفاح والفرق بينهما ظاهري فقط من هذا القبيل واغرب من ذلك ان يكون الماء في الخيار اكثر منهُ في العنب كما رأيت ولذلك يتغذى الجسم من العنب اكثر مما يتغذى من غيرهِ من الفواكه والبقول والخضر

وواضح مما تقدم ان كل ما نأكلهُ لا يخلو من الماء مهما كان جافًّا والماء كثير فيهِ غالبًا يزيد على نصف وزنهِ واذا لم يكن الماء كثيرًا في الطعام فلا بد من طبخهِ بالماء ومزجهِ بهِ كما نطبخ الارز والحبوب على انواعها بل نزيد الماء في ما فيهِ ماءٌ كثير لكي يسهل مضغهُ وهضمهُ ثم اننا نشرب كثيرًا من الماء وكل ما نشربهُ من الاشربة اكثره ماءٌ واذا كان الفصل صيفاً والهواء حارًّا جافًّا فقد يشرب الواحد اقة او اقتين من الماء في يومهِ ولا غرابة في ذلك لان اجسامنا مثل اجسام الحيوانات التي نأكلها كثيرة الماء والماء عنصرنا الاكبر ولا بدَّ منهُ لاجسامنا كما لابدَّ منهُ لهضم الاطعمة التي نأكلها وتذويبها . والذين لايشربون ماءً يشربون ما يقوم مقامهُ من الاشربة الكثيرة الماء او يأكلون كثيرًا من الخضر والبقول وكلها كثيرة الماء

باب الزراعة

تقرير جارستن

والمشروعات المنتظرة

لما تم الاتفاق بين انكلترا وفرنسا على ان المالية المصرية تطلق من قيودها القديمة فيتاح لها استعمال الاموال المتوفرة لديها واستعمال ما يزيد من ايراداتها على نفقاتها سنة بعد سنة في ما يعود على القطر المصري والامة المصرية بالخير عقدت الآمال بان جانباً كبيراً من تلك الاموال ينفق على اعمال الري والصرف حتى تصل المياه الكافية الى كل بقعة يمكن زرعها في هذا القطر وفي الاقطار السودانية ايضاً . وشاع منذ عهد قريب ان جناب السر وليم جارستن وكيل نظارة الاشغال العمومية اخذ يدرس مشروعات الري المختلفة التي اشار بها هو والسر وليم ولككس وغيرهما من كبار المهندسين وانهُ وضع فيها تقريرًا مسهبًا . واختلفت الآراء في فحوى هذا التقرير وما يؤيدهُ من المشروعات وما ينقضهُ منها ولم يبح لاحد الاطلاع على ما فيهِ الى ان نشر بالامس فاذا هو كتاب جليل فيهِ اكثر من ثلاثمئة صفحة كبيرة ومئات من الصور والاشكال والخرائط يوصف فيها تسع مشروعات كبيرة للري والاماكن التي يراد عملها فيها ولاسيما المشروعات الكبيرة التي يراد بها تكثير ماء النيل بتكثير ما ينصبُّ اليهِ من البحيرات الاستوائية وتقليل ما يضيع منهُ بالتبخر ونحوهِ في تلك الجهات

وقد تكلم السر وليم جارستن على هذه المشروعات بالاسهاب التام واضطرَّ ان يزور اعالي السودان بنفسهِ ويرسل وكلاءهُ الى بعضها حيث تعذَّر عليهِ الذهاب واستقصى مباحث الذين سبقوهُ اليها من قديم الزمان الى الآن من فرنسويين وانكليز والمان وغيرهم وجمع من المعلومات والحقائق ما ملأ مئتي صفحة كبيرة ثم لخَّص ذلك كلهُ في فصل قال فيهِ ما ترجمتهُ

"ان مصالح مصر مرتبطة بمصالح السودان في كل الاعمال التي يراد بها تدبير النيل حتى يتعذَّر الفصل بينهما فان البلادين تستمدان ماءهما من مصدر واحد وتعتمدان عليهِ في زراعتهما ولذلك يتعذَّر ان ينظر في مشروع كبير للري يتعلق بالبلاد الواحدة من غير نظر الى البلاد الاخرى"

ثم بيَّن ان المشروعات الكبيرة المتعلقة بالسودان خاصة لاتدعو الحال الى تقديمها على غيرها لان بلاد السودان لم تزل محتاجة الى كثرة السكان ولان المشروعات نفسها لم تدرس الدرس الكافي حتى الآن · ومن هذه المشروعات اربعة تستحق ان يشرع في درسها في اول فرصة ممكنة اثنان متعلقان بالبحر الازرق واثنان بالبحر الابيض فالمتعلقان بالبحر الازرق احدهما التحكم بنهر القاش وفيضانهِ والثاني انشاء سد كسد اصوان او قناطر كالقناطر الخيرية على البحر الازرق نفسهِ وهذان المشروعان يفيدان بلاد السودان خاصة بخلاف المشروعين المتعلقين بالبحر الابيض فان فائدتهما تعود على القطر المصري بنوع خاص احدهما حفر مجرًى جديد للنيل في البطائح الاستوائية بين بور ونهر السبَت تقصر بهِ المسافة ويقلُّ التبخر جدًّا ويحفظ ما يضيع الآن من ماء النيل بانتشارهِ في بطائح فسيحة لا فائدة منها · واذا كانت طبيعة الارض لا تأذن بحفر هذا المجرى فيها اما لارتفاعها الكثير او لانخفاضها الكثير فيلجأُ الى اصلاح المجرى المعروف الآن ببحر الزراف · هذا هو المشروع الواحد والمشروع الثاني التحكم بمياه بحيرة فيكتوريا و بحيرة البرت حتى ينصبَّ منهما المقدار الكافي من الماء في الوقت المطلوب من السنة

وقد قدَّر نفقات المشروع الاول من مشروعي البحر الازرق بنصف مليون جنيه ونفقات المشروع الثاني بمليون جنيه ونفقات مشروعي البحر الابيض بخمسة ملايين ونصف من الجنيهات وقال انها قد لا تزيد على ثلاثة ملايين واربع مئة الف جنيه

اما المشروعات التي يراد عملها في القطر المصري نفسهِ فأَخصها خمسة اولها تعلية خزان اصوان وتبلغ نفقات ذلك نصف مليون جنيه وثانيها اصلاح فرعي رشيد ودمياط حتى يؤْمن بهما الغرَق وتبلغ نفقات اصلاحهما تسع مئة الف جنيه وثالثها عمل ما يلزم من الترع في الوجه البحري لارواء ما فيهِ من اراضي البور ونفقات ذلك نصف مليون جنيه ورابعها عمل ما يلزم من الترع في الوجه القبلي لاتمام الري الصيفي فيهِ ونفقات ذلك مليونان ونصف مليون من الجنيهات وخامسها اقامة قناطر على النيل بين اسيوط وقنا ونفقاتها مليون جنيه

وقد بقيت مشروعات أُخرى تقتضي اكثر من ثمانية ملايين من الجنيهات اشار السر وليم جارستن بتركها الى ما بعد اتمام المشروعات الاولى

والمشروع الاول الذي يتشوَّف اليهِ جمهور القراء هو مشروع تعلية الخزان فقد قال السر وليم ولككس انهُ اذا علّي ستة امتار فقط تضاعف ما يخزَن بهِ الآن من الماء · وقال السر وليم جارستن في تقريرهِ هذا انهُ كان يعارض دائماً في تعلية الخزان اما الآن فيعدل عن المعارضة اذا عملت اعمال أُخرى تزيد بها المياه ويؤْمن الغرَق اي اذا كانت تعلية الخزان جزءًا من

مشروع كبير يراد بهِ تكثير ماء النيل والتحكم بهِ وقت الفيضان ولا يقتصر على ابطال المعارضة حينئذٍ بل يشير ايضاً بهذه التعلية ويقول انها تصير مفيدة جدًّا. وذا عزمت الحكومة المصرية على تعلية الخزان فعليها في الوقت نفسهِ ان تعزم على عمل الاعمال الاخرى التي يزاد بها الماء الجاري في النيل الآن ويؤمن بها الضرر من الفيضان الغزير ولاسيما بعد ان يبطل ريّ الحياض في الوجه القبلي ولا يعود لمياه الفيضان مصرف الاَّ النيل نفسهُ. قال وكنت اولاً اعترض على تعلية الخزان لخمسة اسباب الاول لانهُ لم تكن الحاجة ماسة الى تعليتهِ والثاني لانهُ لم يكن في الامكان ايجاد الاموال اللازمة للمشروعات المتعلقة بتعليتهِ الاَّ بعد اتمامهِ وتحقق نجاحهِ والثالث لان خزن الماء الكثير في الخزان قبل تكثير الماء في النيل يقلل الماء في مجرى النيل تحت الخزان ويضرُّ الملاحة في شهور الشتاء والرابع لانهُ لا سبيل لتصريف مياه الفيضان التي ستزيد غزارة بعد ابطال ري الحياض (المترتب على تعلية الخزان) وخامساً لان هذه التعلية تزيد ما يغمر من هياكل انس الوجود

وشرح هذه الاسباب وقال انهُ ثبت الآن ان غمر الهياكل لا يضر بحجارتها. ويكون منهُ شيء من الضرر فوق حد الماء يمكن تلافيهِ بغسل الحجارة هناك من الاملاح التي ترسب فيها

والتفت الى مشروع وادي الريان الذي اشار بهِ السر وليم ولككس واشار بهِ قبلهُ المستر كوب هويتهَوس. وقال ان نفقاتهِ تزيد كثيرًا على ما قدرهُ السر وليم ولككس ويخشى ان المياه ترشح منهُ الى اراضي الفيوم فتتلفها ولا يمكن ان يقام دليل قاطع على اثبات هذا الامر او نفيهِ الاَّ بعد ان يمتلئ وادي الريان ماء وتمضي عليهِ عدة سنوات اي يجب ان تنفق خمسة ملايين من الجنيهات على هذا الخزان وينتظر بضع سنوات حتى يعلم ما اذا كان متلفاً لاراضي الفيوم او غير متلف لها فاذا كان الامر كذلك فلا يمكن ان يشير عاقل بعمل مثل هذا تنفق عليهِ القناطير المقنطرة من الاموال ثم يُخشى من ضررهِ. وقد قال السر وليم ولككس انهُ لا خوف من رشح الماء بدليل انهُ لما كانت الفيوم مملوءة ماء اي كانت فيها بحيرة مورس لم يرشح الماء منها الى وادي الريَّان الاَّ ان السر وليم جارستن ترك الحكم في هذا الاستدلال الى علماء الجيولوجيا واستشهد بقول العلامة شوينفرث وهو انهُ اذا ملئ وادي الريان ذهب بعض مائهِ في الشقوق التي في اسفلهِ. وقال ان السر بنيامين باكر والمهندسين رفيقيهِ اعربوا عن خوفهما من هذا الارتشاح وقالوا انهُ اذا ملئ وادي الريان ماء فقد تنفجر منهُ عيون وينابيع في الاماكن السفلى من الفيوم ولم يشيروا على الحكومة المصرية بجعل وادي الريان خزانًا لهذا السبب

وقد اشار السر وليم ولككس باصلاح فرع رشيد من فرعي النيل حتى يصير عرضهُ واحدًا

على طولهِ ولو دعت الحال الى توسيعهِ حيث يقرب جسراهُ احدهما من الآخر حتى اذا جاء الفيضان غزيرًا تصرَّفت زيادتهُ في هذا الفرع . فوافقهُ السر وليم جارستن على ذلك . واشار السر وليم ولككس ايضاً باصلاح فرع دمياط وجعلهِ ترعة كبيرة واجراء الماء فيهِ بالقسط من عند القناطر الخيرية ومازادعنهُ يحوَّل الى فرع رشيد وقد وافقهُ السر وليم جارستن على ذلك ايضاً حتى لايجري في فرع دمياط الاَّ ما يجري فيهِ الآن في الفيضان المعتدل وقال ان هذا الفرع يحتمل ذلك الآن ولاسيما اذا انفقت الاموال اللازمة لتقوية جسورهِ واصلاحها وحسب ان المبلغ الذي قدَّرهُ السر وليم ولككس لاصلاح هذين الفرعين وهو تسع مئة الف جنيه غير كثير

فقد وافق السر وليم ولككس على تعلية الخزان وعلى اصلاح فرعي رشيد ودمياط ولم يوافقهُ على جعل وادي الريان خزانًا للماء . واشترط لتعلية الخزان ان يصلح مجرى النيل في بحر الجبل حتى يسلم جانب كبير من مائهِ من الضياع والاَّ فلا فائدة من تعليتهِ

وقال ان هذه المشروعات الثلاثة وهي اصلاح مجرى النيل في بحر الجبل في اعالي السودان وتعلية الخزان واصلاح فرعي رشيد ودمياط انما هي اجزاءٌ من مشروع واحد كبير فلا تفيد الفائدة المطلوبة مالم تتم اجزاؤهُ الاخرى لان ازدياد الماء في القطر المصري يستلزم عمل اعمال أُخرى عظيمة من الترع والمصارف والاَّ فلا فائدة من ازديادهِ وهذه الاعمال تقتضي نفقات طائلة ولكن لاتدعو الحال الى عملها كلها في سنة واحدة بل يمكن توزيعها على عدة سنوات . ولذلك يُفرَض على الحكومة المصرية ان تعلم ان تعلية الخزان لاتكفي ولا تفيد ما لم تعمل معها اعمال اخرى تقتضي نفقات كثيرة . فبين اسيوط وقنا ٧٥٠٠٠٠ فدان تروى الآن ري الحياض ويجب تحويلها الى الري الصيفي وقد ظهر بالاختبار في المديريات الوسطى ان نفقات هذا التحويل تبلغ اربعة جنيهات لكل فدان واذا أُضيف الى ذلك مايلزم للترع الكبيرة بلغت النفقات سبعة جنيهات لكل فدان . ولا بدَّ حينئذٍ من انشاء صف من القناطر بين اسيوط وقنا مثل قناطر اسيوط ولا تقل نفقات انشائها عن مليون جنيه . والاصلح ان ينشأ صفان من القناطر فتكون نفقاتهما مليوني جنيه ونفقات الترع والمصارف اللازمة لتحويل ٧٥٠ الف فدان الى الري الصيفي ثلاثة ملايين من الجنيهات فتصير النفقات اللازمة بين اسيوط وقنا خمسة ملايين من الجنيهات

ثم ان جانبًا من المياه التي تزيد بتعلية الخزان يستعمل في الوجه البحري ويستلزم انشاء ترع ومصارف جديدة ويصعب عليَّ ان احدد المبالغ اللازمة لذلك الآن ولكنها قد لا تقلُّ عن مليون جنيه

والاعمال التي تعمل الآن في المديريات المتوسطة يقتضي اتمامها نحو مليون جنيه . وهذا المبلغ الاخير من ضمن المشروع الذي قرّت عليهِ الحكومة المصرية ولذلك لايحسبهُ بين الاموال المطلوبة

والاعمال التي يجب عملها في السودان ستة وهي

(١) اصلاح مجرى النيل في بحر الجبل

(٢) انشاء قناطر على البحر الازرق

(٣) انشاء الترع اللازمة في بلاد الجزيرة

(٤) انشاء قناطر موازنة على نهر القاش

(٥) انشاء خزان في مكان جنوبي الرصيرص

(٦) انشاء قناطر موازنة في مخارج بحيرة فيكتوريا وبحيرة البرت

والعمل الاول والاخير تعود فائدتهما على القطر المصري وعلى وادي النيل شمالي الخرطوم والاعمال الاربعة الباقية تعود فوائدها على بلاد السودان خاصة

والعمل الاول يمكن اتمامهُ على اسلوب من اسلوبين الواحد انشاء مجرى جديد للنيل بين بور والسبت والثاني اصلاح بحر الزراف . وقد قدّر ان انشاء المجرى الجديد تبلغ نفقاتهُ اربعة ملايين ونصفاً من الجنيهات على الاقل وهو يتم بالكراكات وان انشاء قناطر الموازنة لبحيرة فيكتوريا وبحيرة البرت تبلغ نفقاتهُ مليون جنيه فتصير النفقات اللازمة لتكثير المياه قبل تعلية الخزان خمسة ملايين ونصف مليون من الجنيهات . اما اصلاح بحر الزراف فلا تبلغ نفقاتهُ مع نفقات قناطر الموازنة اللازمة لهُ سوى ثلاثة ملايين واربع مئة الف جنيه ولكن المشروع الاول افيد من المشروع الثاني جدًّا ولو كانت نفقاتهُ اكثر فاذا وُجدت الاموال اللازمة لهُ وجب ان يفضل على المشروع الثاني حتمًا . ولم يقطع السر وليم جارستن بمقدار النفقات اللازمة لهُ بل قال لابدّ من البحث والتدقيق في اخذ المساحات والمناسيب قبل تقدير هذه النفقات تقديرًا صحيحًا

والاعمال اللازمة للسودان خاصة تبلغ نفقاتها خمسة ملايين وخمس مئة الف جنيه فاذا اضيف اليها النفقات اللازمة للقطر المصري خاصة بلغت النفقات كلها ١٩ مليون و ٣٠٠ الف جنيه او ٢١ مليون و ٤٠٠ الف جنيه فاذا وجدت هذه الاموال امكن اتمام الاعمال كلها في نحو عشر سنوات الى خمس عشرة سنة . ثم قال انهُ يمكن الاستغناء الآن عن خزان الرصيرص وعن جانب كبير من الترع في بلاد الجزيرة والاكتفاء بصف واحد من القناطر بين اسيوط وقنا

فتصير النفقات كلها ١٢٩٠٠٠٠٠ جنيه اي اقل من ثلاثة عشر مليون جنيه واذا اكتفي باصلاح بحر الزراف قلت النفقات ايضاً فبلغت عشرة ملايين و ٨٠٠ الف جنيه وهاك تفصيل ذلك على اقل التقادير

(١) تعلية الخزان تكلف	٥٠٠٠٠٠ جنيه
(٢) اصلاح فرعي رشيد ودمياط	٩٠٠٠٠٠
(٣) « مجرى النيل في بحر الجبل	٥٥٠٠٠٠٠
(٤) الترع اللازمة للوجه البحري	٥٠٠٠٠٠
(٥) « « القبلي	٢٥٠٠٠٠٠
(٦) صف قناطر بين أسيوط وقنا	١٠٠٠٠٠٠
(٧) « « على البحر الازرق	١٠٠٠٠٠٠
(٨) ترع في بلاد الجزيرة	٥٠٠٠٠٠
(٩) الاعمال اللازمة لنهر القاش	٥٠٠٠٠٠
والجملة	١٢٩٠٠٠٠٠

ونظر السر وليم جارستن بعد ذلك الى الفوائد التي تجنيها المالية المصرية من انفاق هذه الاموال فقال انها تتقاضى ٥٠ غرشاً عن كل فدان بين اسيوط وقنا و ٣٠ غرشاً عن الري بالآلات قبلي قنا . وفي الوجه البحري يضرب على الارض البور التي تصلح وتروى ريًا صيفياً مئة غرش على الفدان متى تم اصلاحها فتصير زيادة الايراد هكذا

من ٧٥٠٠٠٠ فدان بين اسيوط وقنا	٣٧٥٠٠٠ جنيه
من ١٠٠٠٠٠ فوق قنا	٣٠٠٠٠ «
من ٨٠٠٠٠٠ في الوجه البحري	٨٠٠٠٠٠ «
والجملة	١٢٠٥٠٠٠ «

اما في السودان فيمكن ربط ضريبة خمسين غرشاً على ٧٠٠٠٠٠ فدان في الجزيرة وعلى ١٠٠٠٠٠ فدان على نهر القاش وعلى ٢٠٠٠٠٠ فدان شمالي الخرطوم فتبلغ الضريبة عليها كلها ٥٠٠٠٠٠ جنيه ويبلغ ربح الحكومة السنوي من هذه الاعمال ١٧٠٥٠٠٠ اي نحو ٨ في المئة بالنسبة الى النفقات المطلوبة عدا ما تستفيدهُ الحكومة من بيع الاطيان البور التي لا ثمن لها الآن وعدا ما يزيد من ايراد سكك الحديد والجمارك

تقدير الموسم الاميركي

عثرنا على الجدول التالي في جريدة البصير وفيهِ تقادير ديوان الزراعة الاميركي لموسم القطن منذ عشرين سنة الى الآن ومقدار المحصول اخيرًا

سنة	يونيو	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	المحصول	المساحة
١٩٠٤	٨٣ ٠	٨٨ ٠	٩١ ٦	—	—	—	٣١٧٣٠٣٧١
١٩٠٣	٧٤ ١	٧٧ ١	٧٩ ٧	٨١ ٢	٦٥ ١	—	٢٨٩٠٧٠٠٠
١٩٠٢	٩٥ ١	٨٤ ٧	٨١ ٩	٦٤ ٠	٥٨ ٣	١٠٧٢٨٠٠٠	٢٧٨٧٨٠٠٠
١٩٠١	٨١ ٥	٨١ ١	٧٧ ٢	٧١ ٤	٦١ ٤	١٠٦٨١٠٠٠	٢٧٦٣٤٠٠٠
١٩٠٠	٨٢ ٥	٧٥ ٨	٧٦ ٠	٦٨ ٢	٦٧ ٠	١٠٣٨٣٠٠٠	٢٥٤٢١٠٠٠
١٨٩٩	٨٥ ٧	٨٧ ٨	٨٤ ٠	٦٨ ٥	٦٢ ٤	٩٤٣٦٠٠٠	٢٤٢٧٥٠٠٠
١٨٩٨	٨٩ ٠	٩١ ٢	٩١ ٢	٧٩ ٨	٧٥ ٤	١١٢٧٥٠٠٠	٢٤٩٦٧٠٠٠
١٨٩٧	٨٣ ٥	٨٦ ٠	٨٦ ٩	٧٨ ٣	٧٠ ٠	١١٢٠٠٠٠٠	٢٤٣٢٠٠٠٠
١٨٩٦	٩٧ ٢	٩٢ ٥	٨٠ ١	٦٤ ٢	٦٠ ٧	٨٧٥٨٠٠٠	٢٣٤٤٥٠٠٠
١٨٩٥	٨٤ ٠	٨٢ ٣	٧٧ ٩	٧٠ ٨	٦٥ ١	٧١٥٧٠٠٠	٢٠١٩١٠٠٠
١٨٩٤	٨٨ ٣	٨٩ ٦	٩١ ٨	٨٥ ٩	٨٢ ٧	٩٩٠١٠٠٠	٢٣٦٨٨٠٠٠
١٨٩٣	٨٥ ٦	٨٢ ٧	٨٠ ٤	٧٣ ٤	٧٠ ٧	٧٥٥٠٠٠	١٦٦٥٦٠٠٠
١٨٩٢	٨٥ ٩	٨٦ ٩	٨٢ ٣	٧٦ ٨	٧٣ ٣	٦٧٠٠٠٠٠	١٦٥٧٢٠٠٠
١٨٩١	٨٥ ٧	٨٨ ٦	٨٨ ٩	٨٢ ٧	٧٤ ٧	٩٠٣٥٠٠٠	١٩٨٥٨٠٠٠
١٨٩٠	٨٨ ٨	٩١ ٤	٨٩ ٥	٨٥ ٥	٨٠ ٠	٨٦٥٣٠٠٠	٢٠٣٨٩٠٠٠
١٨٨٩	٨٦ ٤	٨٧ ٦	٨٩ ٣	٨٦ ٦	٨١ ٤	٧٣١١٠٠٠	٢٠١٧٥٠٠٠
١٨٨٨	٨٨ ٢	٨٦ ٧	٨٧ ٣	٨٣ ٨	٧٨ ٩	٦٩٣٥٠٠٠	١٨٩٣٧٠٠٠
١٨٨٧	٩٦ ٩	٩٧ ٠	٩٣ ٣	٨٢ ٨	٧٦ ٥	٧٠١٨٠٠٠	١٨٥٢٢٠٠٠

ويظهر من هذا الجدول ان السنة الحاضرة تشبه سنة ١٨٩٤ في تدرُّج التحسين في حالة المزروعات بل هي اجود من سنة ١٨٩٤ من هذا القبيل لان تلك كانت حالة المزروعات فيها ٨٨ في يونيو و ٨٩ في يوليو و٩١ في اغسطس واما هذه فحالة المزروعات فيها كانت ٨٣ في يونيو و٨٨ في يوليو و٩١ في اغسطس فالتحسُّن كثير فيها وكان المحصول سنة ١٨٩٤ نحو عشرة

ملايين بالة مع ان مساحة الاراضي المزروعة قطناً كانت ٢٣ مليون فدان اما هذه السنة فمساحة الارض المزروعة قطناً تبلغ نحو ٣٢ مليون فدان فاذا استمرَّت حالة الزراعة هذه السنة على مثل ما كانت عليهِ سنة ١٨٩٤ فلا عجب اذا بلغ المحصول الاميركي ١٣ مليون بالة هذه السنة ولكن لا يعلم ما يصيب المزروعات من الآفات في شهر اغسطس وسبتمبر وعليهما يتوقف مقدار المحصول بنوع عام . وقد جاءت الاخبار منبئة ان شجر القطن نامٍ نموًّا عظيمًا ولكن لوزهُ قليل فان صحَّ ذلك ودام لم يأتِ الموسم كبيرًا كما دلت اوائلهُ

القطن

لاغرابة اذا شحنّا باب الزراعة في كل جزء بالكلام على القطن لانهُ معتمد القطر المصري الآن وسيزيد اعتمادهُ عليهِ باتساع نطاق الري الصيفي على ما في المشروعات المشار اليها آنفاً

ويبلغ محصول القطر المصري من القطن الآن نحو ستة ملايين قنطار واذا تمت المشروعات التي اشار اليها السر وليم جارستن في تقريرهِ واصلحت الاراضي البور في الوجه البحري وتم الري الصيفي في الوجه القبلي كلهِ فلا يبعد ان يتضاعف محصول القطر المصري من القطن . ويضاف الى ذلك ما يمكن جنيهُ من السودان وهو قليل طبعاً لقلة السكان الذين يمكن ان يعملوا في زرع القطن ومع ذلك لاخوف من ان يزيد قطن القطر المصري على المقطوعية لان مقطوعية الناس للقطن تزيد مليونين ونصف مليون قنطار كل سنة فمهما زاد محصول القطر المصري من الآن الى عشر سنوات لا يزيد اكثر من زيادة المقطوعية في سنتين ثم تقف زيادة المحصول عند ذلك الحد . اما زيادة المقطوعية فلا حدَّ لها ما دام الناس يلبسون الثياب القطنية

وتبلغ غلة القطن في المسكونة كلها ١٦ مليون بالة (وكل بالة خمسة قناطير) وهي ١١ مليون بالة من القطن الاميركي و٣ ملايين بالة من القطن الهندي ومليون بالة من القطن المصري ومليون بالة من قطن سائر البلدان . وقد كان المحصول نحو ١٣ مليون بالة ونصف مليون منذ خمس سنوات فزاد نحو مليونين ونصف مليون بالة في خمس سنوات وستبلغ المقطوعية بعد عشر سنوات ٢١ مليون بالة

والاراضي الاميركية التي تصلح لزرع القطن واسعة جدًّا وزراعة القطن تزيد اتساعاً فيها سنة بعد سنة ولكن المحصول لم يزد بزيادة المساحة لاسباب كثيرة اهمها قلة العمَّال فان العاملين في زراعة القطن هناك اكثرهم من السود وهؤلاء قد وجدوا لهم اعمالاً اخرى اربح من زرع القطن . ثم ان الارض نفسها قلَّ خصبها لتكرُّر زرع القطن فيها ومهما كان السبب فالمرجح ان الولايات المتحدة الاميركية لا تستطيع ان تزيد محصول قطنها على نسبة زيادة المقطوعية

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

ملكة رومانيا

الملكة اليصابات ملكة رومانيا المانية الاصل وهي كاتبة شهيرة معروفة في عالم الادب باسم مستعار وهو "كارمن سلفا" والملك شارل زوجها من سلالة هوهنزلرن العائلة الالمانية المالكة على المانيا . ولما اقترنت بهِ واضطرت ان ترحل عن بلادها الى موطنها الجديد لم يكن ذلك بالامر اليسير عليها ولكنها عقدت النية ان تجعل بخارست كعبة العلم والفلسفة ففازت بامنيتها حتى لقبت بخارست باريس الشرق

وظهرت على جلالتها آيات الذكاء والميل الى الادب وهي لا تزال صغيرة السنّ وساعدها على النبوغ كثرة اسفارها في صباها الى فرنسا وايطاليا وروسيا واسوج ونروج وسويسرة واول عهدها بالملك شارل ايام زارت الملكة اوغسطا (امبراطورة المانيا الاولى) فانها كانت نازلة على درج القصر فزلَّت قدمها وسقطت بين يدي رجلٍ كان يصعد الدرج وهو البرنس شارل . وسافرت بعد ذلك الى روسيا لتغيير الهواء فوافاها نبأُ موت ابيها وكانت تحبهُ حبًّا شديدًا ثم توفي شقيقها فأثرت تانك النكبتان في صحتها ومرضت مرضًا ثقيلاً ولما اخذت تنقه اشار الاطباءُ عليها بالسفر فسافرت الى ايطاليا وسويسره برفقة عمتها الغراندوقة هيلانة الروسية . فشفيت في ايطاليا تمام الشفاء واخذت تدرس الموسيقى والتصوير وكانت قد درست الموسيقى في روسيا على روبنستين المشهور فبلغت فيها شاوًا رفيعاً

على ان شهرتها في هذا الفن لا توازي شهرتها في الشعر والانشاء . ومن احسن مؤلفاتها كتاب جعلت عنوانهُ "افكار ملكة" فنالت جائزة عليهِ من الاكادمي الفرنسوية . والَّفت كتبًا كثيرة في الاساطير الرومانية واخلاق اهالي رومانيا وعاداتهم وسائر ما يتعلق بهم

ولها ايادٍ بيضاء على بلادها لما لها من الآثار الجليلة فيها ولكثرة المشروعات الخيرية التي انشئت برعايتها . ويحضر مجلسها كثيرون من رجال الادب والشعر والموسيقى والتصوير . ولما كانت تحسن الكلام بكثير من اللغات فان زوارها يسرُّون بعشرتها اذ تبحث معهم في جميع

ما يتعلق بالفنون الجميلة فتدهشهم بمعارفها وحسن ذوقها وكثيرًا ما تتلو عليهم قصائد من نظمها فتسحر الباب سامعيها بسحر كمالها وعذوبة منطقها

مادام أدم

ما دام أدم الكاتبة الفرنسوية الطائرة الصيت الفت اول كتاب من كتبها ودارت على اصحاب جرائد باريس وكبار كتّابها تستطلعهم آراءهم فيهِ قبل طبعهِ ونشرهِ فخذلوها ولم ينصرها احدٌ منهم متذرعين باوهن الحجج والاسباب فمنهم من رفض الاطلاع عليهِ لانها جميلة وآخر لانها قبيحة في اعتقادهِ واسمعها البعض من عبارات الاستهانة والاستخفاف ما اذهب صبرها واوهن عزمها ومن هؤلاء العالم هتزل فانها ارسلت اليهِ كتابها ليطلع عليهِ وكان اذ ذاك منفيًا في بروكسل عاصمة البلجيك فبعث اليها بجواب كلهُ انتقاد احدُّ من السنان . ومن جملة ما قالهُ فيهِ " إما ان كتابك من سقط المتاع او انهُ يجب عليك ان تستري حيرتك وارتباكك بمنديل وقليل من السعوط . وعندي انهُ لا يحق لامرأة خانها السعد وتبوأت من هذه الحياة مكان الظلّ والخفاء أن تشهر سيفًا لقتال برودون "

فساءها هذا الخطاب جدًّا ولكنها انتقمت لنفسها من هتزل بأن شرعت في طبع كتابها رغمًا عما لقيت من المصاعب ومثبطات الهمم وارسلت اليهِ نسخة من نسخ الكتاب الاولى وقد كتبت عليها هذه العبارة " من امرأة جميلة الى رجل قبيح "

ولما عاد هتزل من منفاهُ اتفق انهُ التقى بها في منزل مادام فلبور ولم يكن يعرفها ولكنهُ افتتن بجمالها وطلاوة حديثها فطلب من مادام فلبور ان تعرّفهُ بها فاجابتهُ الى سؤلهِ وقدمت كلاً منهما الى الآخر قائلة " مسيو هتزل . مادام جولييت لامسين مؤلفة آراء ضد مذهب برودون " قالت مادام أدم في وصف ذلك الملتقى "وما كادت مادام فلبور تنتهي من ذلك التعريف حتى قفز هتزل من كرسيهِ بصورة غريبة فلم نتمالك انا ومادام فلبور من الضحك واضطرّ هو ان يستر حيرتهُ وارتباكهُ بمنديل من الشاش وقليل من السعوط "

وأراد هتزل ان يكفر عمَّا مضى فعرض عليها ان تنقح كتابًا أتمّ تأليفهُ واخذ يسعى في طبعهِ ولما كان زوجها يضايقها ويضطهدها حسدًا من سموّ منزلتها الادبية طلب هتزل منها ان تكتب ما تكتبهُ بامضاء " جولييت لامبر " وهو اسمها ايام كانت بنتًا

ومن اعظم مصائبها اكراه ابيها وامها وجدتها وخالاتها لها على الاقتران برجل لا تحبهُ وعمرهُ ضعفا عمرها وهو المسيو لامسين فلذلك عاشت معهُ عيشة ذلّ ونكدٍ وشقاء الى ان

فرّق موتهُ بينهما فانتهى بذلك مصابها

وتعرّفت اثناء اقامتها في باريس بالكونتس داجولت دانيال ستِرون وذلك ان الكونتس قرأت كتابها المذكور آنفاً ولم تكن تدري ان كاتبتهُ امرأة بل ظنت ان كاتب الكتاب رجل استعار اسم امرأة فكتبت اليهِ تقول " سيدي . ومما يوجب الدهشة والعجب انك تستعير اسم امرأة على حين اننا نحن النساء نستعير اسماء الرجال " فأجابتها مادام لامسّين انني لست رجلاً بل امرأة وانا متطرفة في مزايا النساء . وكان ذلك فتح باب المراسلة بينهما . ولما كانت مادام لامسّين شابة قروية وقد قطنت باريس حديثاً تمنت على الكونتس ان تساعدها لتصير باريسية صرفة في عيشتها فتمّ لها ماتمنتهُ باسرع زمان وعلى اتم مرام . وعاشتا على وداد صافٍ لم يشبهُ سوى اعجاب لامسين بالكاتبة الفرنسوية المعروفة باسم " جورج سند " على ما كان بين هذه والكونتس من النفور والجفاء

وظلت مادام لامسين تشتهر يوماً فيوماً بحسن عناية الكونتس حتى حلّت المحل الاول في عالم الادب والسياسة في الثلاثين سنة الاخيرة . ومما استحثها على اتخاذ الادب والانشاء حرفة ان نسيبة لها اضاعت كلباً فطلبت اليها ان تستشير المسيو ادمون العرّاف الشهير في امرهِ لترى ما اذا كان يعود اليها فأجابها العرّاف " ان الكلب مرق وأُصيب بضرر ولكنهم يعالجونهُ ويعتنون بهِ وسيفر بعد ستة اسابيع ويعود الى صاحبتهِ " . ثم حدق الى زائرتهِ وانتقل من الهزل الى الجدّ وقال " واني ارى أمامي كوكباً سينير العالم يوماً " فاجابتهُ بلهجة المنكر المتعجب " أَأَصير كوكباً في مستقبل الزمان " ثم مضت الايام وتناست ما كان ...

وفي اليوم الموعود عاد الكلب الى صاحبتهِ فتمت نبوءة ادمون وفطنت ما دام لاسين لما قالهُ العرّاف عنها فانتعشت قواها وتشددت عزائمها بعد ما خارت مما لقيت من الصعوبات والعثرات في سبيلها وعادت الى الكتابة وكلها عزم وهمة

ولم يمضِ على هذه الحادثة سوى القليل حتى التقت بادمون أدم في منزل صديق لهما فطلب من صاحب المنزل ان يقدمهُ اليها ولما درت بذلك قالت لصاحب المنزل " أياك ان تفعل " ولكن ادمون ادم لم يتحول عن عزمهِ وما زال يسعى في التقرب منها حتى صار من اخص اخصائها واعظم المقربين اليها . ولما توفي زوجها الاول رضيتهُ زوجاً لها وجنت من هذا الزواج اثمار الحب الحقيقي وبلغت غاية امنيتها من الادب والانشاء بلا حاسد ولا معارض

ثم انشأت مجلة سمتها " المجلة الجديدة " فالتفّ حولها جميع اعيان البلاد وما زالت تعلو وتسمو حتى طبقت شهرتها الآفاق وكان لكتاباتها تأثير لا ينكر في مصير فرنسا واخلصت الودّ

والحبّ لها واسفت لفقد الالزاس واللورين اكثر من سائر الفرنسويين ولم تتعزَّ عن فقدهما الى الآن

وعظم شأنها في البلاد حتى صار حضور مجلسها امنية الكتاب والشعراء والمصورين والسياسيين وكرائم السيدات من كل ملة ونحلة . ولها بين ملكات اوربا صديقات مخلصات منهنَّ قيصرة روسيا السابقة (ام القيصر الحالي) وملكة البرتوغال واميرة الجبل الاسود وملكة ايطاليا

قواعد للأَكل

افضل حالة يتناول الانسان فيها الطعام وهو جائع . على انهُ كثيرًا ما يجلس امام المائدة فاقد القابلية فيعمد الى شرب المقبّلات مثل كاس من العرق او الوسكي او غيرهما من المشروبات او اكل بعض المآكل التي تقدم عادة قبل الاكل مثل السردين والخبياري وما شاكل . وقد ظهر لبعض الاطباء ان شرب كاس من الماء قبل الطعام بمدة وجيزة او سائل آخر يحتوي كثيرًا من الماء يزيد افراز العصارة المعدية ويزيد القابلية . ثم ان التمتع بالحديث الطلي وسماع الموسيقى على المائدة مما يهيج القابلية ايضًا

وعليهِ فان شرب المرق والشوربا قبل الطعام مستحسن لكثرة الماء فيهما ولان حرارتهما تزيد افراز العصارة المعدية وتساعد على الهضم

وخير ما يؤكل بعد الشوربا طعام جامد مثل السمك او اللحم او السمك واللحم معًا لاحتوائهما على المادة المكونة للجسم فان المعدة تهضم كثيرًا منها ولذلك يعدها الاطباء في مقدمة المواد اللازمة للتغذية

والمرجح ان هضم اللحم المطبوخ أعسر على المعدة من هضم اللحم النيء لان الحرارة تجعل اللحم قاسيًا يحتاج الى مضغ كثير . ويعسر الهضم ايضًا اذا اضفنا الى هذا الطعام موادّ نشوية كالبطاطس والرقاق

اذًا فالاغلاط التي يرتكبها الناس على الطعام عادة ثلاثة الاول الاكل قبل الجوع . والثاني تهييج معدهم بالمقبلات فانها قد تورثهم امراضًا مختلفة كالاسكربوط والم الرأس وغيرهما . والثالث ادخال المواد النشوية على اللحم المطبوخ فان النشاء قد يؤخر هضم بروتييد اللحم فيتولد اختمار عن ذلك الاَّ اذا مضغ الطعام جيدًا . ومضغ الطعام جيدًا يخفف كثيرًا من نتائج الاغلاط المتقدمة

وبعد السمك واللحم تؤكل الاطعمة النشوية والدهنية مثل الخضر المطبوخة باللحم او بالزيت ويحسن تناول السلطة مع اضافة قليل من الزيت وعصير الليمون الحامض اليها والليمون الحامض يفضل على الخل·

وهناك غلط آخر يرتكبهُ الناس على المائدة وهو اكل الجبن في آخر الطعام فان اكلهُ حينئذٍ يلبك المعدة بسبب امتلائها وقلة العصارة التي تستطيع افرازها لهضم بروتييد الجبن· فاذا كان لابدَّ من اكل الجبن فليؤكل في اول الطعام

ولايجوز اكل الاثمار مع الخضر وخصوصاً لمن كانت معدهم نحيفة فامَّا ان تُؤكل الاثمار وحدها او الخضر وحدها كأَن تؤكل الاثمار مع الفطور والخضر مع العشاء

اما المشروبات فانها تهيج العصارة المعدية بما تحتويهِ من الماء ثم تضعفها وتبرّد المعدة وخير ان تؤخذ قبل الطعام بمدة وجيزة من ان تؤخذ مع الطعام· والكحول يهيج العصارة المعدية ويوقف الاختمار والانزعاج اللذين يحدثان بعد الطعام ولكنهُ قد يضرُّ الجسم فيما بعد بطرق متعددة كما ظهر من المباحث العلمية· وهكذا يقال في القهوة والدخان فان تأثيرها حسن في الاول عموماً وعواقبهما وخيمة

اما تعدُّد انواع الطعام في أَكلة واحدة فقد يضرُّ لانهُ يدعو الى الاسراع في الاكل وتحميل المعدة اكثر مما تستطيعهُ وعدم الهضم والاختمار

والاكثار من المقبلات والمنبهات قد يفضي الى الاعتماد عليها حتى لايتم الهضم الأَّ بها

وخلاصة ماتقدم ان يأْكل الانسان وهو جائع مسرور ويمضغ طعامهُ جيداً فان ذلك يحسن التغذية ويقلل الامراض ويطيل العمر

وقد قام في الولايات المتحدة الاميركية رجل اسمهُ فلتشر ووضع قاعدة للاكل خلاصتها ان يقلّل الانسان كمية طعامهِ المعتادة وان يمضغ الطعام جيدًا وان يشرب كل ما يشربهُ على مهل ما عدا الماء· وقد اتبع فلتشر نفسهُ هذه القاعدة وظهرت نتيجتها فيهِ على احسنها فانهُ قارع كثيرين من معلمي الرياضة البدنية في الصبر على الاتعاب واحتمال المشقات فقرعهم· وهو يقول ان طعام الصباح فضلة يستغني البالغون عنها وان الجسم لا يحتاج الى الطعام قبل نصف النهار. واذا اكل طعامهُ مضغهُ وبالغ في مضغ اللقمة حتى يمتزج اللعاب بها جيدًا ويصير قوامها شبه قوام السائل فتهضم بسهولة وتتمثل كلها او جلها. ومن وصاياهُ المهمة ان يمتنع الانسان عن الاكل وهو في حال تهيج عقلي لان التهييج العقلي كالغضب والحزن والقلق يزعج الهضم ويضر الجسم

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاءً واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) طبع الخرط الملونة

مصر . ناشد افندي فريد . ما هي طريقة طبع الخرط الجغرافية الملونة وكيف تكتب حروفها وهل تستطيع مطبعة في بلادنا الطبع والكتابة على هذه الصورة

ج ان الخرائط تطبع غالبًا على مطابع الحجر . والرسم على الحجر يكون بالقلم ويكون بحروف الطباعة وتطبع الخريطة اولاً على بلاطة عليها الحدود والكلمات بحبر اسود ثم عن بلاطات اخرى على كل بلاطة لون من الالوان المطلوبة مرسوم في موضعهِ من الخريطة . وقد تطبع كذلك بالمطابع العادية بعد ان يحفر كل قسم منها ملون بلون واحد وحدهُ ويطبع وحدهُ بحبرهِ الخاص . وقد شاهدنا خرائط مطبوعة في مصر بالوان مختلفة وطبعها حسن جدًّا

(٢) فعل الالكحول

ومنهُ . ما الفرق بين فعل الالكحول الذي يتبخر في المعدة من الطعام وما يتبخر فيها من المشروبات الروحية

ج اذا كان الطعام ممزوجًا بالالكحول فلا فرق بين الكحولهِ والكحول المشروبات الروحية ولكن الطعام لا يمزج بالالكحول عادة . واذا اردتم ان الالكحول يتولد في المعدة من الطعام فذلك غير صحيح

---

(٣) الاسبستوس

مونتريول بكندا . الخواجه اسكندر قدسي . ارسلت اليكم مع هذا البريد قليلاً من معدن يستخرج من مكانين في كندا وهو اذا فُرك باليد او بآلة يتفكك الى خيوط كتانية كما ترون في ما ارسلتهُ اليكم . ويوجد هذا المعدن في ارض صخرية على عمق ٦ اقدام الى ٤٠ قدماً . وهو ينسج هنا كما ينسج الحرير والكتان فما هو نوعهُ

ج هذا هو معدن الاسبستوس الذي ترجم الى العربية بحجر الفتيلة لان القدماء كانوا يصنعون الفتائل منهُ وقد حققنا انهُ هو السمندل الذي ذكرهُ كتّاب العرب وحسبوا انهُ حيوان لا يحترق بالنار . وهو حجر معدني

مركّب من السلكا والمغنيسيا والكلس واكسيد الحديد وقد يكون التصاق اليافهِ شديدًا فلا تنفصل وقد يكون ضعيفاً فتنفصل بسهولة وهي مرنة لينة حتى يسهل غزلها ونسجها وتمتاز منسوجاتها على سائر المنسوجات بانها لا تحترق وكان القدماء ينسجونهُ ويلفون الموتى بهِ وقت حرقهم لكي لا يمتزج رمادهم برماد الحطب . والذي ارسلتموهُ الينا من اجود انواع الاسبستوس

---

(٤) استيطان الانسان لاميركا

كتا مركا بالارجنتين . الخواجه نجيب صوايا . دار الحديث منذ مدة بيني وبين احد العلماء المشهورين في هذه المدينة ولهُ كتب كثيرة عن آثار اميركا القديمة وعندهُ معرض كبير فيهِ كثير من هذه الآثار فسألتهُ كيف وصل الناس الى اميركا و باي طريق ساروا اليها فاجابني ان الانسان قديم في اميركا وقد وجد فيها قبلما وجد في القسم الشرقي من المسكونة واكبر شاهد على ذلك الآثار الاميركية فانها اقدم من آثار مصر و بابل واشور وقد وجدت منذ الوف كثيرة من السنين . فهل هذا القول حقيقي وما هي آراء غيرهِ من العلماء في ذلك

ج ذهب بعض العلماء ان الانسان وجد في اميركا قبلما وجد في نصف الكرة الشرقي كما قال صاحبكم ولكن جمهور العلماء لا يرون ذلك والاستاذ ونتشل الاميركي من اكثرهم بحثاً وقد جعل مهد الانسان الاول عند جزائر الهند الشرقية . وكل ما وقفنا عليهِ من مباحث العلماء يدل على ان الانسان وصل الى اميركا من اسيا اولاً ثم من اوربا ولم تزل هذه المسألة في معرض البحث فلم يقم دليل قاطع حتى الآن على ان الانسان وجد في اسيا قبلما وجد في اميركا ولكن هذا هو القول المرجح عند جمهور العلماء

(٥) سكان بيرو القدماء

ومنهُ . ماذا تعرفون عن الانكاس سكان بلاد بيرو القدماء

ج الانكا لقب ملوك بيرو الاقدمين وقد كان ذلك لقب آخر ملك منهم حينما تغلّب عليهم بزارو الاسباني سنة ١٥٣١ وكانوا على جانب عظيم من العمران فكانوا يبنون بيوتهم ومعابدهم باللبن او بالاجر او بالحجر والحجارة صلبة جدًّا ولكنهم كانوا ينحتونها و يصقلونها حتى تتصل جوانبها بعضها ببعض ويقيمون السدود لجمع مياه الامطار والقنوات العالية لجرها وري الاراضي و ينشئون السكك والجسور ولم تزل سككهم الى الآن افضل من السكك التي انشئت بعدهم . وكانوا يستخرجون الذهب والنحاس ويصنعون منهما الحلى والآنية و يطرقون الذهب ورقاً رقيقاً ويذهبون بهِ النحاس حتى لقد ظن الاسبانيون النحاس المذهب ذهباً صرفاً . وكانوا ماهرين في صناعة

الخزف و يصنعون من الخزف تماثيل على غاية الاتقان. وكانوا اهل زراعة وصناعة ولم يكونوا اهل حرب ولذلك لم يتقنوا عمل الاسلحة وكانوا يعتمدون على المقلاع والنبوت وسيف الخشب وكثيرًا ما يضعون في رأس النبوت قطعة كبيرة من الذهب زنتها عدة ارطال وكان عندهم رماح قصيرة سنانها من النحاس او الفضة . وكانوا ماهرين في صناعة النسج ونظموا حكومتهم احسن نظام ولكن استولى الاسبانيون عليهم كما تقدَّم واذلوهم فانقرض سكان السواحل منهم

(٦) الف ليلة وليلة

ومنهُ . هل كتاب الف ليلة وليلة من اوضاع العرب او هو منقول عن كتب الفرس

ج بعض قصصهِ فارسي الاصل و بعضها هندي الاصل و بعضها عربي الاصل و يقال ان لبعضها اصلاً تاريخيًّا حقيقيًّا مثال ذلك القصة التي ذكرها بن الجوزي في تاريخهِ المنتظم عن جارية شغب ام المقتدر فانها مثل حكاية من حكايات الف ليلة وليلة

(٧) جيش اليابان

ومنهُ . هل تقدر دولة اليابان على ارسال مليون عسكري الى ساحة الحرب

ج ان رجالها كثيرون ولا يصعب عليها ان ترسل هذا العدد منهم الى ساحة القتال فقد كان عدد جيشها منذ ثلاث سنوات ٦٣٢٠٠٠ والقواد والضباط الذين يكفون ٦٣٢ الفًا لا يصعب عليهم ان يقودوا و يضبطوا ثلثمئة الف فوقها اذا مسَّت الحاجة واستطاعت الحكومة ان ترسل اليهم زادًا يكفيهم

(٨) ابواب المنازل عند اليونان والرومان

مصر . عطا افندي فهمي . قيل ان اليونان والرومان كانوا يعملون ابواب بيوتهم تفتح الى الخارج حتى ان الواحد منهم كان اذا اراد الخروج من بيتهِ يقرع الباب من الداخل تنبيهًا للمارين ليبتعدوا عن الباب لئلا يصدمهم فهل ذلك صحيح

ج هذا صحيح عن اليونان لا عن الرومان اما الرومان فكان ذلك محظورًا عليهم فلم يكن يجوز لاحد منهم ان يجعل باب بيتهِ يفتح الى الخارج الاَّ باذن خاص

(٩) ماهية الروح

المنيا . بدران افندي احمد . ما هي الروح وما الذي تشابهُ واين مقرها من الجسم

ج ان كل ما يعرف معرفة يقينيَّة من هذا القبيل ان جسم الانسان يكون قادرًا على الاغتذاء والنمو والحركة ويقال حينئذٍ انهُ حيٌّ وان روحهُ فيهِ ثم يعرض لهُ عارض يمنعهُ عن الاغتذاء والنمو والحركة فيقال انهُ مات او خرجت الروح منهُ ولا يعلم هل كان فيهِ شيءٌ وخرج منهُ او ان حركات دقائقهِ المختلفة كانت تجري مجرى تظهر منهُ ظواهر الحياة . والفلسفة تثبت وجود الروح ولكنها لا تبين كيفيتها ولا تعين مقرها

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر سبتمبر

	يوم	ساعة	دقيقة
الربع الاخير	٣	٤	٥٩ صباحاً
الهلال	٩	١٠	٤٣ مساء
الربع الاول	١٦	٥	١٣ "
البدر	٢٤	٧	٥٠ صباحاً

يكون عطارد نجم المساء في اوائل الشهر ويقترب من الشمس حتى يعسر رصده ثم يصير نجم الصباح

وتظهر الزهرة في الغرب حتى ساعة بعد الغروب

والمريخ نجم الصباح يشرق نحو الساعة ٣ والدقيقة ٣٠ صباحاً

والمشتري يشرق الساعة الثامنة مساء ويبقى ظاهراً بقية الليل

وزحل يرى جنوباً الساعة ٩ والدقيقة ٣٠ مساء ويغرب نحو الساعة ٣ صباحاً

الراديوم والزجاج

يؤثر الراديوم في الزجاج فيسوده لكن اسوداده لايدوم بل يزول من نفسهِ بفعل الحرارة ويؤثر هذا التأثير في البلور وكل الاجسام الشفافة كالميكا والجبس وما اشبه

الكي بالراديوم

جرَّب الدكتور جول رنس الباريزي تجارب كثيرة ليعرف تأثير الراديوم في كي الجلد فوجد انهُ اذا وقعت اشعة جزء من الف وستمئة جزء من الاوقية على الجلد مدة خمس دقائق لم يظهر لها اثر في الاول الامر ولكن لاتمضي اربع وعشرون ساعة حتى تظهر علامة حمراء حيث وقع النور وتبقى اسبوعين ثم تزول ويبقى مكانها ندبة كندبة الحرق واذا دام وقوع النور عشر دقائق ظهرت علامة بعد ثماني عشرة ساعة واذا دام وقوع الاشعة ساعة تقرَّح الجلد فاذا عولج حالاً شفي بعد شهر ونصف او شهرين واذا لم يعالج كثر فيهِ الصديد وطال عليهِ المطال ولم يبرأ فقد مرَّ على بعض الحروق ثلاثة اشهر ولم تظهر فيها علامة الشفاء الاَّ ان اشعة الراديوم تزيل الخيلان والثآليل

ضرر المسكرات

طالما سمعنا احداث الاطباء يدعون ان في المسكرات غذاء لا غنى عنهُ وكنا نبين لهم ان في لقمة الخبز من الغذاء اكثر مما في الكاس من المسكر . وقد بحث احد الاطباء

في هذا الموضوع بحثاً مستفيضاً وبيّن ان الذين يدمنون المسكرات يموتون جوعاً احياناً كثيرة لان المسكر يؤثر في اعصابهم تأثيراً يمنع اغتذاء اجسامهم من الطعام فضلاً عن تأثيره في قواهم العقلية

الحك المقيَّد

استنبط المسيو هت الفرنسوي حكاً (ابرة مغنطيسية) يقيد نفسهُ فكلما تحرّك حرّك مجرى كهربائياً والمجرى الكهربائي يرسم علامة منظورة على خريطة فيعلم بها سير السفينة واتجاهها وسرعتها

الكحول في البطاطس

يستغل اهالي المانيا ٥٥ مليون طن من البطاطس كل سنة يأكلون منها نحو ٣٥ مليون طن والباقي يستعملونهُ لاستخراج الكحول

مخدّر جديد

اكتشف مخدر جديد من فصيلة الكوكايين اسمهُ يوكايين يمكن الجرّاح من عمل العمليات التي لايمكن عملها بمساعدة الكلوروفورم بسبب ماينشأ عن استنشاقهِ من الضعف في القلب . ومن مزاياهُ ايضاً ان الجرّاح لايضطر عند استعمالهِ ان يسرع في العملية كما يفعل عند استعمال الكلوروفورم وطريقة استعمالهِ ان يحقن منهُ تحت الجلد حيث يراد عمل العملية فيخدر الاعصاب ويمنع الالم . وقد استعمل حديثاً في عملية جراحية عملت في احد مستشفيات لندن ودامت ساعة ونصفاً فجاء على مايرام ونجحت العملية

اثاث من الفضة

قالت جريدة السينتفك اميركان ان ملكاً شرقياً لم تعينهُ اوصى معملاً في شفيلد (انكلترا) بعمل اثاث غرفة نوم من الفضة الخالصة والاثاث يتضمن سريراً وخزانة وطاولة للزينة (توالت) واثني عشر كرسياً وثلاثة حمامات وثلاثة آنية للماء الحار

قيصر الروس

راتب القيصر اعظم راتب ينقدهُ انسان فانهُ يكاد يبلغ مليون جنيه في السنة وهو يُرسل اليهِ اقساطاً شهرية حوالات على بنك روسيا الاهلي . على ان ايرادهُ الخاص يبلغ نحو اربعة اضعاف راتبهِ فان لهُ مئة "تفتيش" ومئة قصر وقلعة . وعندهُ من الخدم اكثر من ٣٠ الفاً وهو اكبر عدد يخدم انساناً واحداً . وفي اصطبلهِ خمسة آلاف جواد

وهو ينهض من فراشهِ عادة الساعة السادسة صباحاً فيفطر فطوراً انكليزياً من لحم مقدد وبيض وخبز وزبدة وشاي ومربى

وفي الساعة السابعة يبدأ بالشغل وينظر في الامور الحربية والبحرية والدينية والقضائية حتى اذا جاء الظهر جلس للغداء ثم يقضي نحو ساعتين في التسلية ولعب الالعاب المختلفة

وعشاؤهُ بسيط واذا انتهى منهُ قضى وقتاً يلعب لعبة روسية . وقبل النوم تقرأ القيصرة امامهُ غالباً في الجرائد او المجلات او الروايات الانكليزية وينام عادة الساعة الحادية عشرة

تقدم اليابان

يبلغ ثمن المنسوجات التي تصنع في معامل اليابان كل سنة نحو ٢٠ مليون جنيه وقد كان اقل من مليوني جنيه منذ عشرين سنة . واستخرج من اليابان نحو عشرة ملايين طنّ من الفحم الحجري في السنة الماضية وذلك ضعفا ما استخرج منها منذ عشرين سنة . وفيها نحو خمس مئة جريدة يومية

على ان الحالة الاجتماعية العمومية فيها ليست على ما يرام فان اجور العمال حقيرة لا تزيد على اجورهم في مصر فمتوسط اجرة العامل في معامل نسج القطن نحو ثلاثة غروش وفي معامل الزجاج نحو غرشين وساعات العمل في الاولى احدى عشرة وفي الثانية عشر . وليس في القوانين ما يمنع ارباب الاعمال من زيادة ساعات العمل على النساء والاولاد واستخدام الاولاد قبلما يبلغون سنًّا معلوماً

جسر فوق بحر المانش

سألنا بعضهم في العدد الماضي عمَّا اذا كان يمكن مد سكة حديد تحت بحر المانش تصل بين فرنسا وانكلترا فأجبنا ان ذلك ممكن لولا اعتراض الحكومة الانكليزية عليهِ . وقد كتب احد الكتَّاب الفرنسويين حديثاً مقالة في مجلة العالمين الفرنسوية يبحث فيها عن امثل الطرق للوصل بين فرنسا وانكلترا أهي حفر سرب تحت البحر او صنع قارب نقال كبير ينقل قطرات سكك الحديد بركابها وما فيها من البضاعة او مدُّ جسر (كبري) فوق البحر فقال ان حفر السرب رأي ضعيف لاسباب حربية ولصعوبة تجديد الهواء فيهِ . وصنع قارب نقال عمل عظيم في حد نفسهِ لولا ما هناك من صعوبات النقل عند اشتداد الانواء . وفي اعتقاد البعض ان الطريقة الاخيرة خير الطرق لذلك . وقد ظهر من فحص قاع البحر فحصاً جيولوجيًّا ان الارض صلبة تحتمل ضغط الدعائم العظيمة التي تلزم لمد جسر كبير . وفي سنة ١٨٧٠ اقترح بعضهم بناء جسر على ٣٤٠ دعامة ولكن قامت قيامة الناس عموماً على ذلك لما فيهِ من الخطر على الملاحة ولاسيما لان الضباب كثير الحدوث في بحر المانش حتى عدل عن ذلك الاقتراح . وتقدر نفقات بناء الجسر ووصلهِ بسكة الحديد عن الجانبين باربعة وثلاثين مليون جنيه

اما مشروع حفر السرب فقد جاء في الجرائد العلمية الاخيرة عنهُ انهُ مشروع قديم اقترحهُ رجل فرنسوي اسمهُ ماتيو سنة ١٨٠٢ وصادق عليهِ مجلسا الامة في البلادين ثم

انقضى كأن لم يكن . وقد تجدد البحث فيهِ حديثاً وكتب احد كبار المهندسين الفرنسويين تقريراً أبان فيهِ الفوائد التجارية العظيمة التي تعود على انكلترا وفرنسا من حفر السرب ولكن الانكليز لا يزالون ينفرون من هذا المشروع كما نفروا منهُ اولاً وحجة بعضهم انهُ يخشى ان تجرد فرنسا جيشاً تزحف بهِ على انكلترا من السرب سرًّا وتأخذها على غرة

العمال الصينيُّون

اخصُّ صفات الصينيين الاقتصاد البالغ حدَّ التقتير فان العامل الصيني ينفق في البلدان المتمدنة التي يهاجر اليها للعمل فيها ما يساوي ١٣ مليماً في اليوم بالنقود المصرية او سبعين بارة بالنقود الشامية و يقتصد نحو ٢٠ جنيهاً في السنة حتى اذا اراد العودة الى بلادهِ صرفها فضة وحملها في منطقتهِ . ويعود الى الصين نحو ٣٠ الف مهاجر سنويًّا من استراليا وزيلندا الجديدة واميركا فيكون متوسط المال الذي يوفرونهُ و يعودون بهِ الى بلادهم نحو ٦٠٠ الف جنيه

والربا فاحش في الصين والاطيان رخيصة واذا جمع الصيني عشرين جنيها تمكن من مشترى ارض يعيش بريعها مدى الحياة والصينيون يشترون الزوجات كلاًّ بعشرات من الغروش

سكان المانيا وفرنسا

كان عدد اهالي الممالك الالمانية واهالي فرنسا متساوياً سنة ١٨٦٠ فصار عدد اهالي المانيا اليوم ٥٢ مليوناً واهالي فرنسا ٣٨ مليوناً ولا يزال الاولون يزيدون والآخرون ينقصون فقد بلغ عدد المواليد في فرنسا ٨٥٧٠٠٠ سنة ١٩٠١ يقابلهم ٨٤٥٣٧٨ سنة ١٩٠٢ ولو كان الفرنسويون يقتدون باهالي برتني احدى ولاياتهم لأَثروا وزادوا وبلغت زيادتهم ٤٥٦٠٠٠ كل سنة ولكنَّ معظمهم يعدُّون الاقلال من الاولاد اسلم طريقة لاظهار حبهم لهم . وقد اخذ سائر الشعوب والامم ينحون هذا النحو ماعدا اهل روسيا والصين واليابان . و يرى بعض العلماء ان سبب ذلك انتشار المبادئ الجمهورية وتقديم المصلحة العمومية على المصلحة الخصوصية

وبناء على ذلك قام الفرنسويون يعقدون اللجان و ينشرون المناشير و يكتبون المقالات الطويلة العريضة في الجرائد والمجلات تنبيهاً الى الخطر الذي يتهدد الامة من استمرار هذه الحال وحثًّا على مداواتها بالدواء الشافي منها او المخفف لوطأتها . واقترح بعضهم على الحكومة ان تسنَّ لائحة تفضيلية تفضل بموجبها استخدام اولاد كل رجل لا ينقص عدد اولادهِ عن ثلاثة في وظائف الحكومة

نفقة المعيشة في المانيا

رتب بعضهم الالمانيين بالنظر الى دخلهم السنوي الى اربع طبقات . الاولى طبقة الاعيان والاغنياء وهم ٢٥٠ الف عائلة دخل كلٍّ منها اكثر من ٤٥٠ جنيهاً في السنة . والثانية الطبقة الوسطى العليا وفيها ٢٧٥٠٠٠٠ عائلة يتراوح دخل كل منها بين ١٣٥ جنيهاً و ٤٥٠ جنيهاً في السنة . والثالثة الطبقة الوسطى السفلى ودخل كل عائلة من عائلاتها ٩٠ جنيهاً الى ١٣٥ والرابعة طبقة الفقراء ودخل كل من عائلاتهم لا يزيد على ٤٥ جنيهاً وعدد تلك العائلات اكثر من خمسة ملايين

وراتب ناظر المدرسة اليومية العالية في المانيا بين ٢٥٠ جنيهاً و ٣٠٠ في السنة عدا اجرة مسكنهِ وتعليم اولادهِ مجاناً . وراتب الضابط الذي برتبة الماجور بين ٢٠٠ جنيه و ٢٥٠ واجرة الكاتب في المحلات التجارية ٤٠ جنيهاً في السنة عادة حتى في المدن التي نفقة المعيشة فيها كبيرة مثل همبرج

توزع الالوان في الطبيعة

قال احد العلماء ان اللونين الابيض والاصفر هما اللونان الغالبان على ازهار الشتاء والربيع واللون القرنفلي لون ازهار الصيف والالوان الغامقة تغلب على ازهار آخر الصيف والخريف اما اللون الاصفر فلا يختص بازهار فصل دون آخر

وانتقل من النبات الى الحيوان فسأل قائلاً لماذا يندر وجود طيور بيضاء بين الطيور البرية ويكثر ذلك بين الطيور البحرية . ولماذا ترى غالب آكلة اللحوم من الحيوانات رقطاء الجلد او مخططتهُ خلافاً لآكلة الاعشاب . ولماذا نرى الطيور المغردة غامقة اللون غالباً على حين ان الطيور الباهية الالوان لا تحسن الغناء

المسيحيون في اليابان

يقدَّر عدد المسيحيين في اليابان بنحو مئة الف نفس اي انهم واحد في كل خمس مئة نفس من اهالي اليابان منهم نحو النصف كاثوليك و١٦ الفاً من الارثوذكس والباقون انجيليون . وقد سمحت الحكومة اليابانية لبعض القسيسين المسيحيين الوطنيين بمرافقة الجيش الى الحرب وفعلت مثل ذلك في حرب اليابان والصين

فاكهة جديدة

ذكرنا في العدد الماضي تحت هذا العنوان ان بعضهم اهتمَّ بتوليد فاكهة جديدة بجعل يلقح ازهار بعض الاشجار بلقاح من ازهار اشجار اخرى فيتولد منها اثمار جديدة . وقد جاء في الاخبار الاخيرة عنهُ انهُ يأْخذ ثمرة صغيرة تافهة الطعم ضامرة ويصيرها ثمرة كبيرة الحجم ذات نكهة في الطعم . ويأْخذ زهرة

صغيرة لا رائحة لها ولا جمال فيصيرها عطرية جميلة وقد غيَّر لون زهرة صفراء مراراً فصيره مرة ابيض فضياً واخرى ازرق بنفسجياً واخرى احمر قرمزياً . وصنع الجوز رقيق القشرة حتى ان الطائر يثقبهُ بمنقاره ويأكل لبهُ . ولما رأى ان ذلك لا يفي بالمرام عاد فصلب قشره حفظاً للبهِ

نجاح الاطباء

ألَّف احد كبار الاطباء كتاباً في الطبيب واساس نجاحهِ فقال ان اعظم الاسباب لنجاح الطبيب اخلاقهُ الراضية وحسن معاملتهِ لمرضاهُ · ولا ريب ان تشاؤُم الطبيب امام الذين يدعى لمعالجتهم يفعل ما لا يفعلهُ امر آخر في كرههم له ونفورهم منهُ وعدم دعوتهم اياهُ مرة اخرى · ثم ان كثيرين منهم يصفون لمرضاهم ادوية نادرة غالية الثمن على حين انهُ يمكن الاستعاضة منها بادوية تكون اقلَّ ثمناً واكثر فعلاً · وهذا مما ينفر الناس من الطبيب ويقف عثرة في سبيل نجاحهِ

سمُّ الافعى والحيوانات المائية

جرَّب الدكتور نوجوشي الياباني (وهو الذي ذكرنا خبر اكتشافهِ ترياق الافعى منذ عهد قريب) فعل سم الافاعي المعروفة بالكوبرا وذات الاجراس في الحيات الاخرى والضفادع والاسماك وغيرها من حيوانات الماء فوجد ان الحيَّات والضفادع تموت حالاً بسم الكوبرا دون غيرها من الافاعي وان السلحفاة اشدُّ تأثراً منها والسمك اشدُّ تأثراً من الفريقين اما الجندب والسرطان فلا يؤثر السمُّ فيهما البتة وكذلك معظم انواع الدود

سياسة الاقتصاد

عقدت جمعية الاقتصاد الانكليزية الملكية جلستها السنوية المعتادة في ١٤ يوليو الماضي برئاسة المستر بلفور رئيس الوزارة الانكليزية نخطب خطبة طويلة قال فيها اذا تكلم رجل من رجال العلم وترك الجهود يظنون انهُ انما يتكلم لمصلحة حزبهِ لا لمصلحة العلم وان آراءه العلمية التي يفصح عنها ليست خالية من الصبغة السياسية لم يؤثر كلامهُ التأثير المطلوب فما دامت سياسة الاقتصاد علماً ولا انكر عليها ذلك فمن الواجب ان تكون مشتركة غير خاصة بامة دون اخرى · غير ان الناس لا ينظرون هذا النظر اليها بل تسمعهم يحدثونك بمدارس سياسة الاقتصاد الانكليزية والالمانية والفرنسوية والاميركية وذلك يدلُّ على ان سياسة الاقتصاد لا تعتبر عندهم علماً والاَّ لما فرقوا بين اقتصاد واقتصاد كما انهم لا يفرقون بين رياضيات ورياضيات فلا يقولون رياضيات انكليزية ورياضيات المانية · ثم حث على الاتحاد والتعاون في رفع شأن هذا العلم لما في ذلك من الخير العام لبني الانسان

فهرس الجزء التاسع من المجلد التاسع والعشرين

٧٤٥ نساء اليابان

٧٤٨ امبراطور اليابان وامبراطورتها (مصوَّرة)

٧٥٠ امبراطور كوريا (مصوَّرة)

٧٥٣ بنك رويستون

٧٦٣ بورت آرثر والحرب الحاضرة (م ٠ ع ٠ ج)

٧٧٧ عدوى السل والوقاية منهُ ٠ للدكتور علي علم الدين

٧٨٢ كلام في التربية ٠ لبولس افندي الخولي

٧٩٠ الملح

٧٩٤ قوانين يوستنيانوس ٠ للاستاذ سعيد الخوري الشرتوني

٨٠١ القوَّة في الشيخوخة

٨٠٥ البوارج والطرابيد (مصوَّرة)

٨٠٨ الماء في الطعام

٨١٠ باب الزراعة * تقرير جارستن ٠ تقدير الموسم ٠ القطن

٨١٨ باب تدبير المنزل * ملكة رومانيا ٠ مادام آدم ٠ قواعد للأَكل

٨٢٢ باب المسائل * طبع الخرط الملونة ٠ فعل الالكحول ٠ الاسبستوس ٠ استيطان الانسان لاميركا سكان بيرو القدماء ٠ الف ليلة وليلة ٠ جيش اليابان ٠ ابواب المنازل عند اليونان والرومان ما هية الروح

٨٢٦ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ٢٠ نبذة

رواية البوليس السري ملحقة بالمقتطف

الفصل الثاني والعشرون

المكيدة

ولما خرج البرنس سكولوف وسمعت البارونة باذنها صوت اقدامهِ ينقطع خارج الرواق عمدت الى الشباك ورفعت زلاجهُ وهي تقول : —

— اخيراً . اخيراً تمكنت من الانتقام وادركت غاية القصد ومنتهى المرام . انهُ حيٌّ ! جون فاين باقٍ حيًّا ! واطربا . ولكن كيف نجا كل هذه السنين الطوال ؟ لا بأس ! آه لو كنتَ باقياً حيًّا ايها القائد غودارد فكنتَ ترى كيف أُبرّرك مما اتّهمتَ بهِ كذباً وبهتاناً وظلماً وعدواناً ! على انهُ حسبي تشفياً من ظالميك واثئاراً من العادين عليك ان أُري العالم ان شرفك الباذخ الذي يطاول الاطواد قدسلب منك على يد خائنٍ وغدٍ بل شرّ الخانة الاوغاد وسأُقدم على ذلك من صباح غدٍ بملء التأهب والاستعداد . فلتبتهج عظامك داخل رمسك حيثهُ شآبيب الرحمة والرضوان ولتطب في عالم الارواح نفسك انها اطيب نفسٍ خلت في جسد انسان

ثم استوت على كرسيها بجانب النار وادارت ظهرها الى الشباك وورات رأسها بين يديها واذا بالشباك قد رُفع من الخارج رفعةً صحبها صوت خفيف فانفتح ودخل منهُ رجل بلباس احد اركان الحرب مزرّراً الى عنقهِ ولثام مسدول على وجههِ . وكانت احدى ذراعيهِ مجروحةً وقد اسندها الى صدرهِ ورجلاهُ مشدودتين الى الركبتين بنعلين عليهما آثار ركوب طويل شاق

فرفعت البارونة يديها عن وجهها والتفتت اليهِ على مهل متبسمةً ولما وقعت عيناها على عينيهِ اجفلت مذعورة ونهضت على قدميها صارخةً : —

— او بين غودارد ! أَنت ! حيٌّ ! هنا وتدعى بياض مراد ! فما معنى هذا ؟

اما هو فلم يكن اقلَّ منها دهشة ورعباً . ولذا تقدم نحوها صائحاً : —

— البارونة التدورف ! اصحيح هذا ؟ يالله : اذاً رأيتكِ ثانيةً ! افليس هذا حلماً ؟

نخفّت البارونة باسرع من وميض البرق الى الباب ومكّنت ايصادهُ ثم عمدت الى الشباك واعادت زلاجهُ ورجعت الى غودارد واسرت اليهِ بتنهدٍ عميق : —

— ليتنا لا نستيقظ من هذا الحلم

فقال ما معرّبهُ : —

ولما التقينا بعد طول افتراقنا توهمت ان هذا اللقا بيننا وهمي

فكلفتها اظهار ذلك قائـلاً بعيشكِ قولي لي اما نحن في حلم
فقالت بلى . لا . لستُ أَعلم فالذي توهمتهُ لاشك عندي وفي زعمي
وان تكُ ضمتنا بحلمٍ يدُ الكرى فطل يا كرى وارفع علينا يدَ الضمِّ

ثم اصابهُ ذهول أنساهُ الغرض الذي جاء لاجلهِ فقال : —

— آه لو علمتِ كم توسلت الى الله ان يفسح في اجلي حتى اراكِ مرة أُخرى ! وقد كان هذا الرجاء شغلي الوحيد طول مدة افتراقي عنكِ وانقطاعي لمجالدة الخطوب ومعاركة الارزاء وقد لمتُ نفسي اشد اللوم ورميتها بالحمق والغباوة على اذعاني لقولكِ وعدم بحثي عنكِ . نعم بحثت ولكن بعد مافات الوقت وكنت في بحثي اخيب من قابضٍ على الماء . ولما عزمتُ على الرجوع اليكِ لاعلن لكِ عدم استطاعتي انجاز ما وعدتكِ بهِ وجدتكِ قد ذهبت ولم تغادري وراءكِ اثرًا يدلُّ عليك او علامة تشير اليكِ

— رحماك اغفر لي يا اوبين ! ليتني عرفت هذا ! دعني اتكلم —

ليس الآن ! ليس الآن . بل دعيني اخبرك اوّلاً — قبل أن تلمس شفتاي شفتيكِ — باني تلفتُ وامتهنتُ واصبحت مضغة الافواه وملاظة الالسنة والشفاه وتعرَّيت مما كنت مزدانًا بهِ من الصيت والجاه حتى شرفي — لا . لا. فهذا اطهر من ان تدنسهُ السنة الظالمين البغاة . لكنكِ تصدقينني اذا قلتُ لك اني لم اقترف ذنبًا يستوجب هذا الخذلان وانَّ كل ما اصابني محض ظلم وعدوان

خلِّ عنك هذا الكلام لانك تكسر بهِ قلبي

— الم يبلغكِ كيف هاجرت انكلترا ولِمَ ؟

— بلى — لكن الآن

— اتظنينني اثيماً فيما اتهمت بهِ ؟

— اني اعلم براءة ساحتك وكان العالم كلهُ يعلم هذا ايضاً لو جلوت المبهم ورفعت التهم

— ولكن الم تعلمي اني لم اقدر على شيء من ذلك ؟

— انك مخطىءٌ ! ولا بدَّ انك كنت حينئذٍ مختلَّ الشعور حتى تغاضيت بهذا المقدار وجعلت سبيلاً لوقوعك بهذه الزلة واخذك بهذا العار . اجبني ! لماذا اراك ساكتاً ؟

ثم دنت منهُ والقت يدها على ذراعهِ المجروحة فَعَلَتْ وجههُ في الحال صفرة الموت وتلوَّى من شدة الالم . فصاحت :—

— ماذا ؟ امريض انت ؟

ـــ لا . لا . لاشيءَ يوجب الخوف. أعطيني قليلاً من الماء . لقد اصابني جرح خفيف من بضعة ايام . وفيما كنت راكباً الى هنا عثر بي جوادي وإذ لم استطع التحوُّط بسوى يدٍ واحدة سقطت عن ظهرهِ الى الارض واظن ان سقوطي هذا نكأ الجرح فأساله . ولكن لاتجزعي . فلست اشعر بالمٍ . ومن العيب ان كبوة طفيفة كهذه تعرضني للسقوط . ولعلّ ضعف جسمي بداعي النزيف حال دون تمكني على ظهر الجواد وافضى الى سقوطي . عمّ سألتني ؟

ـــ قل لي اولاً اما انت احسن حالاً الآن

ـــ بلى . بلى . اسمعي . سألتِني لماذا لم اجل المبهم واوضح كيف حصلتُ على تلك الورقة والجواب اني امسكت عن ذلك حرصاً على شرفي او على شرف امرأةٍ وقد نجم هذا عن مكيدة لم استطع بيانها بالدليل . وهذه المرأة كانت مظلومة الى حدٍ يتظلم منهُ الظلم وتتصدع لهُ الصخور الصمّ . وقد عرفتها منذ الطفولية وهي بائسة لامنقذ لها ولا معين . افتعجبين بعد هذا من اني رضيت تحمل العار في سبيل خلاصها ؟

ـــ لكنها هي اخطأت في قبولها بهذا . وكيف أمكنها الصبر على رؤية تلفك وسقوطك ؟ ان هذا منتهى القساوة !

لا لاتُسرفي في لومها لانها غير ملومة وهب انها كانت ملومة فلا فائدة منهُ الآن . وقد اطلعتك على هذا لاني لم اقوَ على الافتكار بوجود ما يوجب الحذر بيننا . فقد كان معي ورقة مكتوب عليها بخط يدها جملة ليست في ذاتها شيئاً ولكنها كانت كافية لتمكين الالى نصبوا لنا المكيدة من ادراك بغيتهم . وهذا هو سرُّ التهمة . فهل تثقين بي الآن ؟

ـــ كما بالله !

ـــ ياحبيبتي !

ثم تعانقا عناق اهل الاشواق وتشاكيا تباريح الفراق . لكنها اذ شعرت بألمهِ الذي نمّ بهِ تضوُّرهُ على رغم تجلدهِ صاحت :ـــ

ـــ اراك متألماً شديداً لحتى متى تخفي ذلك عني ؟

ـــ يظهر ان الجرح بالغ وقد آلمني اكثر مما ظننت وسببهُ نقصان الدم فلا تدني مني لئلاّ يروعك الامر

واذ ذاك طرق اذنها صليل اسلحةٍ خارج الغرفة استدعى انتباهها فصاحت :ـــ

ـــ ويلاهُ دنا الخطر ! يجب ان تجهد نفسك وتوطّنها على التجلد ـــ على الفرار . ويلي فقد حاقت بك اسرار المكيدة ! الست قادراً على المشي ؟ اجتهد . تعالَ الى هنا الى مخدعي فليس

لك غير هذه الوسيلة للنجاة .

— ما سبب وجودكِ هنا ؟ واين من جئت لكي اراها — الشيطانة الجميلة ؟ وما هذا السرُّ الغامض ؟

— خلِّ عنك محاولة فهمهِ الآن لانك ستفهمهُ فيما بعد . اتبعني على الفور

— ما مرادكِ بهذا ؟ فاستُ —

ثم ارتفع صوت شيء في الرواق . فقبضت البارونة باسرع من رجع النفس على ذراعهِ المجروحة فخرَّ الى الارض من شدة الأَلم وسقط مغشيًّا عليهِ لا يفيق ولا يعي . ولما رأتهُ على هذه الحالة اطلقت غدارتها طلقين واخرجت غدارتهُ من غلافها والقتها على الارض بجانبهِ وغطَّت وجههُ بلثامهِ . وحينئذٍ قُرِع الباب قرعًا شديدًا ودفع من الخارج بعنفٍ فانفتح ودخل البرنس سكولوف ولما راتهُ صرخت : —

— اغثني — بعيشك انقذني ! فانهُ لما رأى نفسهُ قد وقع في شركي حاول الفتك بي فاطلقت غدارتي واذ حاول الفرار ولم اقدر على صدهِ اطلقتها عليهِ ثانية فخرَّ صريعًا

— لقد اخطأتُ في تعريضكِ لخطر هذه المقابلة وحدكِ . وسأُوصد الباب حتى لا يدخل احد قبل نقلهِ من هنا

وفيما هو متقدم نحو الباب بدا لهُ ما ارجعهُ فقال : —

— لعلهُ يكون مجروحًا فقط

قال هذا ودنا منهُ ووضع يدهُ على قلبهِ المنقطع عن الحركة وهمَّ بالرجوع عنهُ واذا بهِ نظر الغدارة على الارض فرفعها بيدهِ وصوبها نحو ذلك الصريع الذي لاحراك لهُ وقال : —

— الاصوب ان نتحقق موتهُ

— وفيما هو على اهبة اطلاقها وثبت الشيطانة ووقفت فوق الجسد المطروح وحالت بينهُ وبين البرنس وقالت : —

— لا . لا . كذبت عليك ! فقد خدعتكما كليكما !

ثم اماطت اللثام عن وجه غودارد فنظر اليهِ البرنس وصرخ :

— من هذا ! القائد غودارد !

— نعم ! نعم ! القائد غودارد ! اسمع . فلاجل أَسر هذا الرجل وعدتني حياة انسان — اعدامها او العفو عنها حينما أُريد وكما اشاء ؟ فاطلب حياتهُ

الفصل الثالث والعشرون

وجهاً لوجهٍ

اما سكان المرقب السياسي فقضوا يومين كاملين في هياجٍ شديد واضطراب ما عليهِ مزيد وكان اول امرٍ اتاهُ البرنس سكولوف بعد رجوعهِ من عند الشيطانة الجميلة انهُ سعى على الفور في ارسال السيدة املي دشتون الى مدينة نيس. وقد اظهرت في البداءة عدم الميل الى هذه الرسالة لكن سكولوف تغلب عليها بما لديهِ من الوسائط وعللها بالاماني والآمال حتى اجابت طلبهُ بالطاعة والامتثال. ثم امدها بالوسائل اللازمة للرجوع باللورد ارلنفورد الى لندن من غير ان يمكنها من معرفة ما حدث في مرقبهِ

اما دك سافيل وقرينتهُ فقد سرَّا بهذه الحادثة العجيبة سروراً يعجز القلم عن وصفهِ. وكان اول شيءٍ فعلتهُ البارونة وكتي انهما انقطعتا للعناية بغودارد الذي قضى وقتاً ليس بقصير غائباً عن رشدهِ في هذيان عميق

اما البرنس فلزم السكوت ولم يلجَّ في طلب ايضاح هذا المشكل ولا الحَّ في رفع النقاب عن محيَّا هذه الخفايا بل صبر على الشيطانة صبر الكرام وانتظر حتى طارحتهُ الكلام

وكان ذلك بعد ما ابلَّ غودارد وتعافى فدعت البرنس اليها فدخل وهي جالسة امام النار فمدت اليهِ يدها فقبلها بكل احترام. ثم قالت : —

— اجلس ايها البرنس فقد حان أن أُطلعك على ما انت في اشتياق الى معرفتهِ من زمانٍ طويلٍ

— بشرط ان يكون ذلك عفواً منكِ بلا اضطرارٍ ولا اكراه

— ارعني سمعك فاحدثك بهِ بملء الرضى والمسرة

— تكلمي فكلي مسامع

— هل ترتاب في ان قائد الفرقة الطيَّارة واوبين غودارد كانا شخصاً واحداً ؟

— كلاَّ

— الم تثق بانهُ ميت ؟

— بلى

— وماذا كانت نتيجة اسرهِ هنا ؟

— كانت بداءة الخاتمة ومنع الفرقة الطيَّارة من نيل مرادها في ايصال الذخائر والمؤن الى من هم في اشدّ الاحتياج اليها وذلك كلهُ نتج عن قبضنا على قائدها . ولا يخفى عليكِ ما ترتَّب على ذلك من الفائدة التي لا تُثَمَّن

— اذاً هو عمل عظيم جداً

— نعم وهكذا الثمن الذي بُذِل في سبيلهِ

— اي ثمن تعني ؟

— حياة قائد الفرقة — او بين غودارد — اعدامها او العفو عنها كما تريدين ومتى تشائين

— آه ان هذا كان من حسن طالع اللورد ارلنفورد ! فلو لم اطلب منك ان تُبقي على غودارد لطلبت منك إعدام ارلنفورد

— حقًّا لقد اوقعتني ايها البارونة في بحر حيرةٍ عميق لاقرار لهُ . فعند قدوم المستر ساڤيل وقرينتهِ اعلنتِ انك تجهلين اللورد ارلنفورد ولا تعرفينهُ . وبعد خمس دقائق احدث فيكِ ذكر اسمهِ ارتعاداً لم اعهد لهُ فيكِ نظيراً من قبل . اذاً اهتمامكِ مصروف نحو جون فاين — المدعو الآن اللورد ارلنفورد . و يظهر ان لديك اسباباً تبعثكِ على بغضهِ وحب الانتقام منهُ . فهل لكِ ان تطلعيني على هذه الاسباب لأني اقدر أن أُساعدكِ وأُريد

— أنت ؟

— نعم فاللورد ارلنفورد — او جون فاين — كان مستخدماً يوماً ما في بوليس بطرس برج السري —

— أَعلم هذا !

— وقد طرد من منصبهِ لانهُ اتخذهُ وسيلة للانتقام —

— أَعلم هذا !

— وقد اتهم رجلاً بريئاً بمواطأة دورسكي على المبادىء النيهلستية

— أَعلم هذا !

— تعلمين ! تعلمين ! كيف تعلمين ؟

— تسأَلني كيف اعلم ؟ تسأَلني لماذا آليت على نفسي الانتقام من هذا اللورد ارلنفورد ؟ خلِّ عنك هذا كلهُ واسأَلني بالاولى ذلك السؤَال الذي قضيت في سبيل حلهِ وقتاً طويلاً وانفقتَ من اجلهِ مالاً جزيلاً ولم تستطع اليهِ سبيلاً . اسالني عن نفسي لعلك تعلم من انا؟

— لله انتِ ! فماذا تعنين بهذا ؟

— اعني اني انا البرنسس كاريتا غالتزن !

— يا قديسة كاترينا !!!

قال هذا البرنس سكولوف ونهض يتفقد الابواب ليتحقق عدم وجود ثالثٍ لهما يسترق حديثهما ورجع الى جانبها وانحنى قليلاً واخذ يتفرّس في وجهها وبعد ما تأكد انها هي البرنسس كاريتا بعينها قبض على معصمها وقال لها بصوت منخفض واضح : —

— وانا الكسس دورسكي

ثم استحوذ عليهما سكوت دام بضع دقائق . فنهضت البرنسس غالتزن (لندعها الآن باسمها الحقيقي) وضغطت صدغيها بيديها وشخصت في ذلك الرجل الذي بعد ما أمنها على سرّ حياتهِ العظيم عاد الى مكانهِ وخاطبها : —

— اذاً اتضح الان سرّ آلة الكتابة السريّة

— وهل يعلم ابن ديمتري كيراتيف شيئاً عن هذا الامر ؟

— لا يعلم احدٌ سوى البرنسس غالتزن وسكولوف رئيس البوليس السري

ولماذا أخبرتني ؟

— لان لي عندكِ رسالة

— نعم وهذه هي

ثم حلّت عرى صدرتها واخرجت طرساً مطوياً بحرص من غلاف صفيق وبعد ما نشرتهُ وضعتهُ امام سكولوف قائلةً : —

— اما هو مكتوبٌ بخط يدك ؟

— فاجابها مصحح — بخط يد الكسس دورسكي النيهلستي وقد فقد من بين اوراق كيراتيف السرية . ولاجل الحصول عليهِ سعيت في ان خلفتُ ذاك الرئيس في منصبهِ . فانقطعت منذ ذلك الحين للتفتيش عن هذه الرسالة . ولهذه الغاية نفسها جعلت ابن كيراتيف كاتم اسراري . فلو عرفت من البدء انها عندكِ لأرحت نفسي من تحمل اتعابٍ كثيرة

— انها رهن امرك الآن

— الآن ؟

— قل لي بعيشك كيف اتفق أن يبقى جون فاين حيّاً مع انهُ شاع قبلاً انهُ قتل في تخوم بولاندا

— نعم هكذا شاع ولكنهُ اتضح اخيراً ان هذه الاشاعة كانت كاذبة وان الذي قتل

انما هو خادمهُ وقد قطعهُ اللصوص ارباً تعذَّر عندها معرفة القتيل . اما جون فاين فان علاقتهُ بفرقة البوليس الثالثة (السرية) مكنتهُ من الوقوف على المكيدة المنصوبة لهُ فركب سفينة طواف انكليزية من ظاهر قلعة شلسابرج ولما بلغ انكلترا استعان على اخفاء امرهِ بلقب اللورد ارلنفورد الذي انتحلهُ انتحالاً والغى بهِ اسم جون فاين · ولكنني وقفت نفسي على تأثرهِ حتى احطتهُ بشبكة الوسائط الفعالة ومتى حان وقت اقتناصهِ فلا يرى لهُ مفرًّا من يدي فابطش بهِ وانال مقصدي

— ومتى يكون ذلك ؟

— هل يهمك التعجيل بهِ ؟

— يهمني جدًّا واودُّ لو في الامكان ان يكون الآن

— وكيف صبرتِ هذه السنين الطوال ؟

— مكرهة غير مختارةٍ · هذا فضلاً عن اني لم اكن عالمة ببقاء هذا الاثيم حيًّا

— متى انتهت الحرب وصار القائد غودارد قادرًا على الذهاب معنا الى لندن فحينئذٍ نشرع في تمثيل الفصل الاخير من هذه الرواية · وقد ارسلت السيدة دشتون الى نيس وجهزتها بالمقدار الكافي من المال لاغراء ارلنفود وحملهِ على الرجوع الى لندن وجعلهِ في حوزتنا · وعهدت اليها بالبحث عن تفاصيل موت غودارد (الذي كان ميتاً فعاش) وحقاً اني كنت مزمعاً ان أقضي عشر سنين في محاولة الحصول على ذلك لكي أُريك شدة رغبتي في اتمام مايرضي الشيطانة الجميلة · لكي اريكِ اني وان لم اقدر ان اكون محبكِ استطيع ان ابقى صديقكِ وحليفك . وستدوم قوتي وقدرتي وكل مالي من النفوذ رهن اشارتك كما لو كنتِ انت لي · هذا ولست انا ممن قلبهم في كمهم ولكني احبك ايها البرنسس حبًّا يقصرُ عن وصفهِ ابلغُ الكلام · اما الآن فقد قضي الامر والأَجدر بنا أَن نطوي شقة هذا الحديث ونتكلم عن شيء آخر

ولما فرغ من كلامهِ نهضت الاميرة ودنت منهُ وجثت عند ركبتيهِ واخذت يدهُ بين يديها وقبلتها ذارفة عليها دمعةً أَحرَّ من الجمر فعرا سكولوف هزة كما انتفض العصفور بلَّلهُ القطر

ثم رفعت رأْسها ونظرت اليهِ فانحنى بملء الاحترام وقبَّل جبينها قبلة كانت الفاتحة والخاتمة

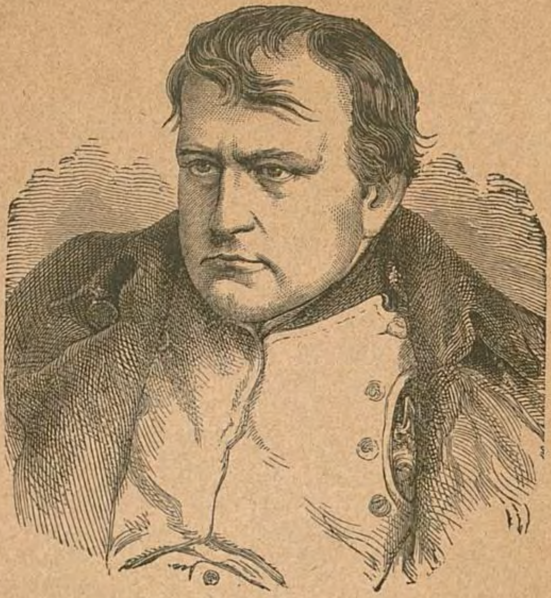

نبوليون بونابرت

اللورد روز بري